روايات عبير

حب لا يقهر

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

Joan
USSEL

N°599

شخصيات الرواية الرئيسية

"ديانا بيترز": محامية تعمل في "رود ايسلند". تنزل ضيفة على صديقتها "جاكي" رينهارت" في مزرعتها.

"جاكي" و"جيم رينهارت": زوجان يمتلكان مزرعة وهما جيران "بروك ريد".

"جيف" و"تراس": ولداهما.

"بروك ريد": يمتلك مزرعة شمال "داكوتا".

"كريس": ابنه.

"لوري": زوجته السابقة.

"جاك" عامل مساعد لـ"ريد" بالمزرعة.

الغلاف الأمامي

وضع "ريد" يديه على كتفي رفيقته وراح يدلكهما ليبعث فيهما الدفء، ودون أن تتفوه بكلمة اعتمدت على ذلك الجسم المفتول العضلات وقلبها في أقوى دقاته. سمعته يهمهم:

- انت ترين ما اود أن أقول، أليس كذلك؟

- "بروك".

انحنى الراس فوقها فانحنت إلى الوراء لتتلقى القبلة وانفتحت شفتاها لتسمحا للسان "ريد" بالدخول إلى فمها وازداد الضغط شدة فردت عليه باهة قبول.

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

الفصل الأول

كانت "ديانا" تقود السيارة منذ ساعات والتعب يثقلها كمعطف من رصاص يضغط عليها ويقيدها، وفجأة برزت على بعد أمتار من عجلاتها بالونة زرقاء ضخمة وبعدها مباشرة ظهر خيال صغير بقميص أبيض يلحق باللعبة. ضغطت "ديانا" على دواسة المكبح بكل قواها فتوقفت العربة محدثة صريراً مروعاً بإطاراتها.

لقد تصرفت المرأة الشابة تصرفاً لاإرادياً دون أن تفكر في الحركة التي قامت بها. ظلت برهة هامدة الحركة مغمضة العينين ويداها المتشنجتان على المقود والرعدة تهز كل جسدها. كانت فكرة واحدة تحتل ذهنها: كان هناك غلام صغير أمامها تماماً على الطريق اللهم إلا إذا كان تحت عجلات السيارة.

وعندما رفعت "ديانا" رأسها بعد ذلك رأت على الجانب الآخر من الحاجز عينين كستنائيتين كبيرتين تحدقان فيها. لم يكن ظاهراً أمامها سوى تلك العينين. أما الفم والذقن وباقي الجسد فإن غطاء السيارة كان يحجبها. العينان وحدهما كانتا تحدقان إليها دون وهن.

سحبت "ديانا" المكبح اليدوي بمنتهى السرعة وفتحت باب السيارة واندفعت إلى الخارج لتركع على قدمي الطفل قائلة:

- هل أنت بخير؟ هل أصبت بجرح؟ أين أمك؟ ماذا كنت تفعل على الطريق؟ أليس لك...

راح الطفل يصرخ باكيا. حينئذ فقط أدركت "ديانا" أنها كانت تزمجر وهي تهز بقوة كتفي الطفل أمامها.

- "كريس"، "كريس"...

احتجز رجل طويل القامة الطفل وأخذه بين ذراعيه وعلا صوته الدافئ بكلمات تهدئ روعه فكف عن البكاء بعد قليل.

- اهدأ يا"كريس". لم تكن السيدة تريد أن تخيفك، ألا ترى؟ لقد أخفتها أنت أيضا.

انحنى الرجل على المرأة الراكعة ليساعدها على النهوض وهو يضع الطفل على رجله ولما تبين الحالة التي كانت عليها قال مطمئنا:

- لم يحدث ضرر ياسيدتي. أنا لا أظن ذلك على أي حال.

- لقد... لم يكن ظهوره متوقعاً من أي مكان... البالونة أولاً ثم هو...

- كاد أن ينزلق تحت عجلاتك ولحسن الحظ استعملت المكبح في الوقت المناسب.

- كان يمكن أن أقضي عليه.

- نعم لكنك توقفت في اللحظة المناسبة. انتهى الأمر الآن.

تملصت "ديانا" بحركة نزقة من اليد التي كانت تمسك بها وأدارت كتفيها وراحت تبتعد بمحاذاة الطريق. صاح الرجل حائراً:

- عفوا ياسيدتي، سيارتك! لا يمكن أن تبقيها في منتصف الطريق!

بدت المرأة الشابة وكأنها لا تسمع. وكان هناك مرآب (موقف سيارات) أمامها. وبعد أن اجتازت الموقف اختفت في البناء.

ألقى الرجل نظرة ضيق على السيارة الحمراء الأنيقة، المتروكة على قارعة الطريق ثم تقدم نحوها. وبعد أن وضع الطفل الصغير على

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

المقعد المجاور لمقعد السائق تسلل وراء المقود وقاد السيارة إلى الموقف بينما ظلت "ديانا" مختفية. اتكون قد راحت دون عودة؟

ربت الرجل بلطف حاجز السيارة حالماً وقال:

- مع ذلك لم تكوني مخطئة! أين يُحتمل أن تكون صاحبتك قد مضت؟

قال "كريس" الصغير وهو جالس على المقعد:

- لم تكن الغلطة غلطتي كذلك على أي حال، أليس كذلك يابابا؟

- كلا يابني، كلا، رغم أنها كانت غلطتك على شكل ما. قلت لك مائة مرة ألا تخرج إلى الطريق.

- ولكن بالونتي..

- كنت ساعطيك واحدة أخرى. إن شراء بالونة أمر سهل، وبالمقابل ما كنت قادراً على إيجاد "كريس" آخر. هيا تعال الآن، سنعمل على اكتشاف مكان اختفاء تلك السيدة.

قفز الطفل بخفة على الأرض المعبدة.

- أتعتقد حقاً أنني أخفتها؟

- نعم. أنت تبكي بصوت عال جدا والسيدات لا يحببن العويل.

- ها هي ذي يابابا!

توجهت "ديانا" حالمة إلى المغسل في المرآب. هداها الماء المنعش فلم تستطع الامتناع عن الابتسام وهي ترى هذين المخلوقين بقامتيهما المتفاوتتين وهما يقفان جنباً إلى جنب، أحدهما طويل بل فائق الطول بشعر معقوص أشعث ولون ملوّح وجسم قوي التكوين مما كان يضفي على ذلك الرجل المجهول ما يدل على أنه من المدينة.

فكل هذه الطاقة التي يشعر الإنسان أنها مركزة فيه تعطي تناقضاً مدهشاً مع رقة نظرته التي يوجهها إلى مرافقه الطفل.

قالت المرأة الشابة:

- سأحملكما إلى المستشفى.

وبعد أن ألقى الأب نظرة وراء ظهره التفت إلى الصغير :

- "كريس"، هل تظن أن هذه السيدة تعنينا بما تقول؟ هل نبدو بحاجة إلى طبيب؟

هز الصغير رأسه معطيا إشارة نافية.

- اسمح لي أن أصر على ما أقول. يخيل إليّ أن التحقق ضرورة ملحة لنتأكد..

- "كريس" هذا ابني وأنا اسمي "زيد"، "بروك زيد".

- دعني لو سمحت أحملك إلى المستشفى.

تباكى الطفل وقال:

- لا أريد الذهاب إلى الطبيب.

قالت السيدة معللة:

- "كريس"، يجب التأكد بشكل قطعي من أنك لم تصب بجرح والطبيب لا...

زمجر الطفل وهو يذرف دموعا صادقة:

- لا... لا... لا.

رفع "زيد" الطفل بين ذراعيه بحركة بطيئة. ترى ماذا يدفع هذه المرأة إلى هذا الإلحاح؟ أليست قادرة على التحقق من أن "كريس" سليم وأنها تخيفه بذكر المستشفى؟

اقترح بصوت أراده أن يكون خفيف الوقع:

- ما رأيك أن نقوم ثلاثتنا بجولة إلى المشرب هناك لنحتسي شراباً منعشاً؟

- لا، لا، الحقيقة أنني...

- اسمعي ياسيدتي، أنت في حالة أسوأ كثيراً من حالة الصبي. تعالي معنا نشرب كاسا يعيد إليك رباطة جاشك ويوفر لك ما يكفي من الوقت لتلاحظي أن "كريس" سليم، وبعد ذلك يمكنك الاستمرار في رحلتك هادئة الضمير إلى "رود أيسلند".

- إلى "رود أيسلند"، كيف عرفت ذلك؟

- من لوحة سيارتك. هيا بنا، لنذهب لكنك ستنتظرين دقيقة واحدة

www.liilas.com

تكفيني لآتي بقبعتي من المراب.

بعد دقيقة خرج الرجل من البناء الأبيض وعلى رأسه قبعة رعاة البقر مغروسة فوق شعره الأشعث فسارت تنسق خطواتها مع خطوات الأب والابن. سألها "ريد" وهو يخفف خطاه ليسمح للسيدة الشابة باللحاق به:

- ما اسمك؟

- "ديانا ديفيو"... أقصد "ديانا بيترز". لقد استعدت منذ حين اسمي كفتاة وإن كنت أميل إلى نسيانه.

- أحسنت صنعا باستعادة اسمك القديم... وأضاف بضحكة خفيفة:

- "ديانا ديفيو"، كانه اسم نجمة سينمائية مبتدئة.

- ولم لا أكون في دائرة السينما؟

- النظارات الشمسية.. أنت لا تملكينها...

ودون أن تنطق بكلمة أخرجت السيدة الشابة من محفظتها زوجاً من النظارات ووضعته على أنفها. تامل "ريد" برهة الصورة الرشيقة والشعر الذي جعلته الشمس أشقر اللون والبلوزة الموردة فوق البنطلون الأبيض وقال:

- يمكنك حقاً أن تكوني ممثلة لكنك كنت ستقيمين في هذه الحالة بجانب "هوليود" وتكون سيارتك مسجلة في "كاليفورنيا".

اعترفت السيدة الشابة بابتسامة بصحة قوله.

لم يكن في المشرب عدد كبير من الناس. أمر "ريد" بالشراب وحصل "كريس" على حليب محلى مع الشوكولاتة واكتفت "ديانا" بكاس من المياه المعدنية بينما اختار رفيقها عصير فواكه.

- ما الذي جاء بك إلى هنا، شمال "داكوتا" ياسيدتي؟

- جئت لرؤية أصدقاء. واحدة من صديقاتي تزوجت مزارعاً في المنطقة وهي تقيم مع زوجها وأولادها غرب "بسمارك".

- ما اسمها؟

- "رينهارت". "جاكي" و"جيم رينهارت".

- أعرفهما تمام المعرفة. إنهما يقيمان بالقرب من مسكني على بعد ثمانية كيلومترات تقريبا. وغالبا ما يذهب "كريس" ليلعب مع ولديهما "جيف" و"تراسي". كم من الوقت تتوقعين البقاء لدى "جاكي" و"جيم"؟

- لا أعرف تماما، بضعة أسابيع ولا ريب. وأضافت بعد زفرة خفيفة:

- حتى يستدعيني مكتبي.

- هل طلقت زوجك منذ زمن طويل؟

- منذ شهرين فقط لكننا كنا منفصلين طيلة سنتين. إن هذا في الواقع يعد من التاريخ القديم.

عادت "ديانا" تلقي نظرة قلقة على الصغير وقالت:

- هل أنت متاكد أنه في حالة جيدة؟

كان يبدو على "كريس" أنه يشكو من انقباض مثير. لكن "ريد" هز راسه شان من ألف ذلك وقال:

- استفق! أنت تشرب بسرعة كبيرة ياولدي. حاول التصرف بهدوء أكثر. إن السيدة الأنيقة الجالسة قبالتك ترقب كل حركاتك.

ابتدرته "ديانا" بالقول:

- أنا واثقة بان أم "كريس" ستؤيد رأيي وستفضل أن يفحصه طبيب.

- أنا أشك كثيراً في ذلك فأم "كريس" ليست ماثلة في الصورة.

- أي صورة ياباب؟

- أنت تذكر جيداً! إنها الصورة التي أعطيتنيها ذلك اليوم والتي كنا فيها أنت وأنا و"جاك". أما أمك فلم تكن فيها.

- هذا صحيح. أظن حقا أنني نسيتها. سوف أضيفها عندما نعود إلى البيت.

سالته "ديانا":

- أأنت تقوم بحضانة الطفل؟

www.liilas.com

- نعم، إنها لم تفعل ذلك أبدا... لم ير "كريس" أمه منذ ثلاث سنوات ولكن يبدو أحيانا أنه يتذكرها.

- كم يبلغ من العمر؟

انحنى "ريد" على ابنه وقال:

- كم تبلغ من العمر يا "كريس"؟

ارتفعت يد صغيرة وانتصبت أصابعها الخمسة إلى أعلى.

- خمس سنوات! أنت طويل بالنسبة إلى سنك!

أيد الأب قولها قائلاً:

- إنه ينمو بسرعة كبيرة بحيث التزم بشراء حذاء جديد كل شهر. إنه ينقب الحذاء فورا وسيماثلني في الطول. أليس كذلك ياولدي؟

أكد "كريس" صحة القول بحركة من رأسه وهو يتابع امتصاص حليبه بحمية فاستانف "ريد" قائلاً:

- حسنا، أعتقد أن عليّ أن أذهب الآن. اسمعيني، مادمت ذاهبة إلى جيراني ألا نلتقي من جديد ذات يوم؟

كانت تلك التي كادت تدهس "كريس" تجتذبه حقا. ما كان يمكن القول إنها جميلة إذا قورنت بـ"لوري" على الأقل، لكنها كانت تتفوق بشيء ما لعله ذلك المظهر المصطنع - إذا ما قلنا شديد الغرابة - وبشعرها القمحي اللون وكذلك فمها ذي الشفتين المكتنزتين اللتين تجعلانها شديدة الجاذبية. كلا، وأيضا عيناها اللتان تثيران بالغ الدهشة، عيناها الزرقاوان لوزيتا الشكل اللتان تحيط بهما أهداب طويلة. إنهما تجعلان المرء يفكر في تلك النساء المنقبات اللواتي يعشن في الحرملك. ولو كان جسدها الشديد التناسق يغطيه بنطلون منفوخ وخمار شفاف لكانت الفكرة مكتملة تماما.

أجابت "ديانا" الدعوة التي وجهت إليها باسمة دون أن تشعر بالتفحص الذي كانت تخضع له. ثم قالت:

- لست أدري إذا كانت "جاكي" قد حققت بعض المشروعات لكنني سأكون مسرورة جداً بلقائك من جديد.

سألها محدثها فجأة:

- أفترض أنك تقيمين قرب المحيط؟

- نعم في "نيوبورت". لماذا؟

- هذا ظاهر ولن أفاجأ إذا كان خفك زاخراً بالرمال.

- وأنت هل عشت قرب البحر؟

- بل على البحر. لقد كنت أعمل في البحرية.

- آه! وأنت الآن مزارع؟

- إن شئنا القول. أنا أربي الماشية. وبالمناسبة، إن آل "رينهارت" يربون الماشية أيضا وليسوا مزارعين مثلي. ومن الخير أن تولي ذلك انتباهك فالأمر مختلف. وأنت ماذا تفعلين يا "ديانا"؟

- أنا محامية.

ومضت بارقة دهشة في العينين الكستنائيتين.

- امرأة محامية؟

- إذا صدقت شهادة ميلادي فأنا أنثى. ثم إني عضوة في المكتب وهذا يعني أنني امرأة ومحامية. ولكن عليّ أن أذهب أنا الأخرى فإن صديقتي "جاكي" ستقلق لتأخري. أنت متأكد من أن "كريس" الصغير لم يصب بأي رضوض؟

- انظري إليه، إنه يبدو رائعا كالفتنة.

ولما سمع "كريس" الكبار يتحدثون عنه قرر أن من المفيد أن يتدخل.

- قل لي يابابا، ألا تذكر؟ لقد وعدت بإعطائي بالونة أخرى.

- البالونة الآتية ستكون مربوطة إلى حزامك. أود أن أقول لك يا "ديانا" إنك ستتبعينني وسأقودك مباشرة إلى مربى ماشية آل "رينهارت".

- ألا يزعجك هذا؟

- كلا مطلقاً. كنت هنا لأرى شخصاً في المراب لكنني سأتصل به هاتفيا.

كان آل "رينهارت" يعيشون في بيت من طراز مربي الماشية يبعد

www.liilas.com

خمسة كيلومترات عن الطريق العام. رأت "ديانا" "ريد" يرفع يده ليريها اللوحة التي تدل على مدخل المزرعة. وبعد أن أطلقت صوتا من جهاز التنبيه اختفت الشاحنة الصغيرة الزرقاء في دوامة من الغبار.

برزت "جاكي" من البيت قبل أن تجد "ديانا" الوقت لإيقاف المحرك.

هتفت ووجهها يشرق ببهجة لقاء صديقتها القديمة:

- هل ضللت الطريق؟

- كدت أجن من الاكتئاب؛ لأن من الصعب أن يهتدي الإنسان إلى طريقه بسبب وفرة المسالك في المنطقة.

دخلتا إلى البيت تلف كل منهما الأخرى بذراعها بينما كانت "ديانا" تشرح لها سبب التأخر. تنهدت ربة البيت وقالت:

- حسنا يمكنني القول إنني أنعم بالحظ لأنني صانعة التالف! كنت أود أن أقدم لك بنفسي هذا المطلق الأكثر فتنة في شمال "داكوتا". أليس رائعاً؟

- "جاكي"، ما جئت إلى هنا لأحصل على مربي ماشية. لا تتصوري أنني بحاجة إلى رجل من طراز زوجك لأغمر به وحدتي.

- حسنا. ماذا تحتاجين في الوقت الحاضر؟ كوب شاي جيد على ما أفترض؟

سبقت "جاكي" صديقتها إلى المطبخ بعد أن قدمت لها كرسياً وراحت تبحث في خزائن الجدار. تنهدت "ديانا" وقالت:

- إنه شيء جيد أن يلاقي الإنسان مجدداً صديقاً قديما وأن ينسى كل همومه!

- ألم ترى "دوج" من جديد منذ طلاقكما؟

- كلا. انتهى كل شيء رغم أننا كنا نملك كل ما كان يحقق النجاح. كنا نشكل زوجين متكاملين في بداية زواجنا ثم جاء "روبي".

- أنا حزينة جداً على الطفل يا "ديانا".

- إن شئت تكلمنا في الموضوع في يوم آخر وأمامنا زجاجة شراب. ألا تذكرين يا "جاكي"؟ كان كل شيء بمنتهى الوضوح والسهولة عندما

كنا في المدرسة. كنا نصوغ مشروعات ضخمة حتى دون أن نطرح السؤال عما إذا كنا سننهيها بالنجاح؟

- نعم. لقد كنت شديدة العزم بالغة السيطرة على ذاتك.

أطلقت "ديانا" تنهيدة خفيفة وقالت:

- أنت تتكلمين هنا عن الماضي. لقد كنت على هذا النحو وأنا أدرس الحقوق ثم زاولت مهنة المحاماة. وعندي الآن "مايرز" و"هوبكنز" و"بيترز" أعضاء مكتبي في المحاماة ولم يتطلب الأمر أكثر من أن أضيف اسمي إلى نهاية القائمة.

أتدرين يا "جاكي"، لقد كدت أتحطم قبل قليل عندما خيل إليّ أنني دهست ذلك الطفل الصغير.

- لقد حالفك الحظ.

- الحظ؟ بل هو الذي كان محظوظا. كنت خارج ذاتي. وعندما رأيته على الطريق - بعد أن توقفت - بالغ الصغر هشّ العود، كدت أتحطم ردفيه بالضرب.

ولما جاء والده لم تبق لدي من رغبة سوى صفع ذلك الرجل عقابا على إغفاله مراقبة ابنه. كنت على بعد أصبعين من دهس ذلك الغلام يا "جاكي".

- أرى أن الموقف قد أثر عليك. لم تكوني أنت المخطئة يا "ديانا".

- هل تعرفين ماذا فعلت؟ تركت سيارتي حيث وقفت ورحت أمشي دون أن أعرف ماذا أفعل. ولحسن الحظ تنبه "ريد" فركن سيارتي.

- أليس رائعاً وبالغ الفتنة؟

- ماذا جرى ليقوم برعاية الصغير؟ صغار الأطفال يعهد بهم إلى أمهاتهم حسب العادة!

- لقد هجرته زوجته بل هجرت الأب والابن معا. كان "بروك" يقوم بدراسات في ذلك الحين.

- دراسات؟ لابد أنه أصغر سناً مما كنت أظن.

- إنه أكبر منا سناً، في الثلاثينات إذا جاز القول. لقد دخل في

www.liilas.com

التجربة وتعرف على "لوري" في مكان ما في "كاليفورنيا" وعاد إلى الدراسة من جديد ونجح في الامتحانات وظن أن من الاسهل عليه أن يعود مع الطفل إلى هنا لينصرف إلى تربية الماشية. إن والدة "بروك" لم تعد مقيمة هنا، لقد انتقلت إلى المدينة.

- على كل حال، كان شديد اللطف معي رغم أنني كدت أدهس ابنه بسيارتي.

- شديد اللطف! لا ريب انك تقصدين انه كان فاتنا، نعم!

- لقد عرض عليّ أن اخرج معه في إحدى الامسيات واظن انني سالبي دعوته إذا اتصل بي.

- ليس في الأمر أن ترفضي وانا اقول لك ذلك.

الفصل الثاني

انقضى يومان دون أن يشير "ريد" إلى وجوده. وفي اليوم الثالث قرع جرس الهاتف فهتفت "جاكي" بصوت عذب: المكالمة لك يا "ديانا"، ومدت يدها بالسماعة إلى صديقتها مشفوعة بابتسامة منتظرة. قال صوت ذكوري:

- آلو، ما رايك في أن نلتقي اليوم؟ انت لست مرتبطة هذا المساء، قالت لي "جاكي" هذا. أتتعشى معا؟

- و"كريس"؟

- لست مشغولاً به ستراه "جاكي". الساعة السادسة، موافقة؟

- اعتقد أن الوقت مبكر قليلاً لتناول العشاء.

- ليس هنا، أنا واثق بانني سأموت من الجوع وأنت كذلك، ستكونين جاهزة.. أليس كذلك؟

- سأحاول.

كانت "ديانا" تولي الدقة التامة في المواعيد اهتماما كبيرا لذا ما كانت تتوقع أن يأتي "ريد" قبل ربع ساعة من الوقت المحدد. ولما دقت

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

الساعة السادسة دخلت قاعة الجلوس. كان ثوبها الحريري الأزرق متناسقاً معها بشكل أخاذ، والوشاح الذي تلف به قامتها الدقيقة يضيف لمسة أنوثة إلى جسمها الحافل بالأناقة.

- أنا آسفة لانني جعلتك تنتظر يا "بروك" لكنك استبقت الوقت بوصولك.

كان الرجلان، "جيم" و"ريد" جالسين إلى زاوية المدفأة يتناولان بعض الشراب. وكان "ريد" قد ارتدى للمناسبة قميصا أزرق اللون ذا طبعات وبنطلون جينز ينعقد على ركبتيه. علت على وجه مربي الماشية ابتسامة منيرة عند رؤية مدعوته. هتف وهو يقف لاستقبالها:

- أنت رائعة يا "ديانا".

- شكراً. هذا لطف منك لكنني أعتقد أنني أفرطت فيما ارتديته.

- مطلقاً. لن تُستقبلي في أي مكان دون أحذية وثوب. الناس هنا مغرقون في التشدد.

- يمكنني أن أبدل ثيابي ولن يستغرق ذلك وقتا طويلاً.

- بحق السماء لا! أنت رائعة هكذا وأكرر لك القول. ساخذك إلى مكان يكون ثوبك فيه آية. سيغار مني الناس كلهم.

ودون أن يحول عينيه عن "ديانا" قال "ريد" بصوت عالي النبرات:

- ما رأيك في مطعم "الركن الأربعين" يا "جيم"؟

أيده "جيم" من وراء ظهره قائلاً:

- لا عيب فيه.

واسترسل "ريد" قائلاً:

- وإكراما لك جئت بسترة لا أستطيع التاكيد انني سارتديها. إنها في شاحنتي الصغيرة.

- في شاحنتك الصغيرة؟

- هه حذار. إنها نظيفة تماما، الجزء الداخلي نظيف على أي حال. لقد قمت بتنظيفها بنفسي بعد ظهر اليوم كذلك لمعت حذائي واغتسلت.

بل إنني تركت مضغة تبغي في البيت خشية أن يزعجك وجودها.

أعلنت ضحكة عالية دخول "جاكي" وقالت:

- كفّ يا "بروك". انت لا تمضع التبغ. كفّ عن مضايقة "ديانا" وإلا فإنها ستطردك إلى بيتك، أنت وعربتك الصغيرة.

- لن تقدم على ذلك أبداً لأنها غاية في الطيبة! ستعلمني التصرف بالاساليب الجيدة طيلة الوقت الذي سيستغرقه تناول العشاء. أليس كذلك يا "ديانا"؟

- هل هذا كل جزء من طقس سري معد لاختبار أهل المدينة؟

- والشيطان لا...

- قل لي يا "بروك"، هل يمكنك أن تقول لا أحيانا دون أن تسبقها بكلمة الشيطان؟

شعر المربي انه أخذ بحزم فراح يسأل "جاكي" بعينيه فردت عليه برمش أهدابها معبرة عن أنه يستحق تلك الملاحظة بشكل عارم. قال:

- لست أدري. قد يحدث ذلك أحيانا. إذا قضينا وقتاً ما معاً فإنك ستتوصلين إلى تهذيب مفرداتي.

- وانت من جانبك ستضيف بعض الرونق على كلماتي.

تبادل كلاهما النظر فترة صامتين وهما في إحساس مفعم بالتجاوب الذي يشعر به كل منهما نحو الآخر.

تدخلت "جاكي" قائلة:

- "كريس" في الحديقة ويمكنه أن ينام الليلة هنا يا "بروك".

- هل أنت واثقة بأن ذلك لن يزعجك؟

- لقد رتب "جيف" كل شيء. سوف يستقرون في غرفة الجلوس. لا يزعجنك أمره.

\# \# \#

كان المطعم مزيناً على طريقة قاعات ويسترن. استقر المترافقان في ركن هادئ منعزل عن بقية المكان.

قبل ثلاثة أيام، لم تكن المحامية تعرف هذا الرجل الذي يهم

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

بالجلوس قبالتها مع ذلك فإنها تشعر بالراحة في صحبته. كانت طيلة حياتها تعمل على التخطيط لكل شيء: عواطفها، أصدقائها، مهنتها.

لكن الواقع ما كان يستجيب دائما لأمنياتها، ولابد أن يصبح التخطيط متعذرا بعد كل هذا و"ريد" هذا هو المثال. كيف كانت قادرة على التنبؤ باقتحام "بروك ريد" دائرة حياتها؟

قطع نادل سلسلة أفكار السيدة الشابة وبعد أن حدد "ريد" أنواع الطعام بدأ بالحديث بلهجة ودية. قال:

- قولي لي، ما هي الغاية من أن تكوني محامية؟

- أن أكون امرأة محامية أو مجرد محامية.

- لا جدوى من تفسير ما هي المرأة فأنا أعرف ذلك. إن مهنتك هي التي تثير اهتمامي.

- أنا عضو مبتدئ في مكتب محاماة شهير جدا. لقد أردت دائماً أن أكون محامية وأنا سعيدة جداً بما حققته.

- بتكرارك كلمة "جداً" في جملة واحدة يمكن الافتراض أن هذا العمل يروق لك حقا. وأنت، هل أنت على مستواه كما أقدر؟

- بالتأكيد. أنا منصفة وفعالة ومنظمة. أنا ملمة بمهنتي.

- قولي لي يا "ديانا". هل عالجت حتى الآن بعض حالات رعاية الطفل؟

- نعم، بين الحين والحين.

- هل حدث لك أن مثلت الأب فيها؟

- في مناسبات عديدة.

- وهل حصلت على حقه في رعاية الطفل؟

منحت الشابة نفسها فترة تفكير ثم قالت:

- لم أحقق قط حصول الأب على رعاية تامة للطفل لكن الرجال قلّما يطلبون الحصول على هذه الرعاية منفردين. ولقد حالفك الحظ في حصولك على هذا الحق. لا ريب أن زوجتك، لم تعترض على الحكم.

- لم تعترض. هذا صحيح لأنها لم تكن تريد الاهتمام بالطفل في

الواقع.

- لو غيرت رأيها حتى بعد سنوات فإنك ستكون ملزما باقتسام رعاية "كريس" معها. طبيعي أنني أجهل الظروف.

- لن تحصل عليه أبدا. سأنقل "كريس" إلى "تسمانيا" على أن أعطيه لها.

أصبحت المحادثة مربكة فانتهزت المحامية الفرصة لتبديل الموضوع.

- وهل يربون الماشية في "تسمانيا"؟

علت ابتسامة مضيئة وجه "بروك" فمحت علامات الاكتئاب الخفيفة التي كانت تبدو حول عينيه. قال معترفا:

- لا أعرف. قولي يا "ديانا"، هل أنت راقصة جيدة؟

- بالتأكيد، أنا فعالة وحسنة التنظيم.

- وتلمين بمهنتك، أنا أعرف ذلك.

وضع "ريد" بعض النقود على المائدة ونهض واقفا.

- تعالي، سنرى مدى صحة ما تقولين.

كان الصعود إلى الناقلة الصغيرة والهبوط منها قد أحدثا بعض المشكلات في رحلة الذهاب. عاد "ريد" من جديد يساعد السيدة الشابة ويمسك بقوامها ليمكنها من الهبوط أمام المرقص وهو يقول: "كما كانت العادة في عربات العصور القديمة". وأبقى يده على جسمها الرشيق دون مبرر فلم تبد "ديانا" أي اعتراض. كانت تفوح منه رائحة كولونيا الذكور. شعرت بالسعادة التي لم تشعر بها منذ زمن طويل وهي بمثل هذا القرب من هذا الرجل ذي المظهر المهيب.

تابعت الداخلين نظرات متطفلة وهما يجتازان قاعة الرقص بحثاً عن مائدة خالية حتى وقعا على واحدة.

كانا يتحدثان بلطف في انتظار التوجه إلى حلقة الرقص عندما علا صوت أنثى من وراء "ديانا" يقول:

- هه يا "بروك"، أين اختفيت ذلك اليوم؟

www.liilas.com

استدارت المحامية بمقعدها وراحت تتفحص السيدتين الواقفتين بالقرب منها.. رد "ريد" بصوت الخادم:

- اعذريني يا "ريتا". تعرضت لمشكلة أرغمتني على الذهاب. "ديانا"، أقدم لك "ريتا هانش" وصديقتها.

أكملت "ريتا" عبارة "ريد" قائلة:

- "ميلاني". كنا على موعد يا "بروك" ولم تخطرني حتى بإلغائه.

استمر "ريد" في إجراءات التعريف شأن من يظن أنه تصرف يمحو خطأه.

- "ريتا" تعمل لدى "ريشاردس"، المراب الذي إلى جانب الطريق. "ريتا" أقدم لك "ديانا".

وجهت "ديانا" ابتسامة ترحيب لتلك الشابة الشقراء الجذابة التي تثير الانتباه بما ترتديه من ملابس. لكن هذه لم تلق عليها حتى مجرد نظرة وظلت مهتمة بملاحقة طريدها "ريد".

- لقد انتظرتك بعد انتهاء الدوام. ماذا فعلت؟ يبدو أنك لمست إحدى زبائن المراب.

تدخلت المحامية قائلة:

- أعتقد أنني كنت السبب في ذلك الخطأ.

تجاهلت الشقراء التدخل واستمرت في مخاطبة المذنب:

- اسمع أيها القروي القذر، هذه هي المرة الثانية التي تخلف فيها وعدك خلال ثمانية أيام. من حقي أن أكون غاضبة.. أليس كذلك؟

- أنت على حق يا "ريتا". اعذريني لقد وعدتني "ديانا" بهذه الرقصة.

طوق "ريد" رفيقته بذراعه وانطلق معها إلى حلبة الرقص. كان يتمتع بمرونة محسوسة رغم طول قامته فطابقت "ديانا" الإيقاع معه، وبعد قليل هدأ الإيقاع الموسيقي فعاد يضم مرافقته. كان شعرها الأشقر يفوح برائحة الليمون العطر فاحنى الراقص رأسه وطبع قبلة رقيقة على الجبين وبالمقابل أطلقت رفيقته آهة سرور رقيقة.

ولما توقف العزف ظلا متقابلين تائهين في أحلامهما الداخلية.

همس "ريد" لينهي الأمر:

- القاعة مليئة بالدخان. لنخرج قليلاً للتنفس.

كانت النجوم تلمع في الخارج في سماء صافية وكانت المحامية ترتعش متأثرة بهواء الليل المنعش.

- هل تشعرين بالبرد؟

وضع "ريد" يديه على كتفي رفيقته وراح يدلكهما ليبعث فيهما الدفء ودون أن تتفوه بكلمة اعتمدت على ذلك الجسم المفتول العضلات وقلبها في أقوى دقاته. سمعته يهمهم:

- أنت ترين ما أود أن أقول.. أليس كذلك؟

- "بروك".

انحنى الرأس فوقها فانحنت إلى الوراء لتتلقى القبلة وانفتحت شفتاها لتسمحا للسان "ريد" بالدخول إلى فمها وازداد الضغط شدة فردت عليه بأهة قبول.

- همست بعد أن انفصلت الشفاه عن بعضها: "بروك".

وهمهم بصوت لطيف:

- يالها من ليلة! يالها من ليلة رائعة!

وانحنى من جديد ليطبق بفمه على فمها.

www.liilas.com

الفصل الثالث

سالت "ديانا":

– هل أستطيع مساعدتك يا "جاكي"؟ لا تعتمدي عليّ في صنع أقراص الحلوى لكن سلطات البطاطا التي أهيئها ممتازة.

– ممتاز. السلة هنا وأنا أترك لك القيام بتقشير ما فيها.

– أتتوقعين كثيراً من الناس غداً؟ يمكن القول إنك تحاولين اختراق الصحراء لرؤية هذا الجبل من شجر الخبز.

– لست أدري كم سيكون العدد. إن "جيم" يوزع الدعوات دون تحديد فيحضر من يشاء. هناك أحيانا رجال ياتون مبكرين لمساعدة "جيم" في العناية بالمواشي. ولو سالتني رأيي هناك جار لن يتخلف عن الحضور منذ الشفق. أنت عارفة أنك تروقين له.

هزت "ديانا" المعنية بالملاحظة كتفيها بمرح واستمرت في عملها.

– أمل ذلك! أنا على قدر من الطرافة على ما أظن.

– أردت القول إنك تروقين له بالفعل.

– "جاكي"، لقد رأيت هذا الرجل مرتين في حياتي ولا أعتقد أنه من

النوع الصاعق كما أنني لست كذلك على أي حال.

– لكنك تحبينه حقا.. أليس كذلك؟

– أحبه وهذا أمر مؤكد... اسمعي يا "جاكي"، كأنني عدت عشر سنوات إلى الوراء عندما كنا نعد قائمة الشباب الذين يثيرون اهتمامنا.

ما كانت "جاكي" من النساء اللواتي يرضين بالاستكانة. ردت بالطف ابتسامة وقالت:

– هذا يعيدنا إلى عهد الشباب. أود أن أقول لك ياعجوزتي إنني سعيدة جداً بتفاهمكما العميق. وإنني قررت ألا أدعك تتوقفين في هذا السبيل الممتاز.

* * *

في اليوم التالي، ما كاد الفجر ينبثق حتى أدخلت ربة البيت رأسها خلال باب غرفة الاستقبال وهتفت:

– "ديانا"، تسترى ببنطلون جينز، لقد وصل "بروك".

– الآن! هذه ليست ساعة مغادرة الفراش.

– أسرعي ياعجوزتي. إنه يرفع السرج عن جواده وسياتي لتناول فنجان القهوة خلال عشر دقائق.

– يالمصيبة!

وبعد خمس عشرة دقيقة دخلت "ديانا" إلى المطبخ بعد أن اغتسلت ورتبت زينتها. وبكل اللطف الذي كانت قادرة على إبدائه قدمت تحية مهذبة للزائر فقابلها بابتسامة طلقة لا رافة فيها.

– هل أنت جاهزة أخر الأمر لتتنازعي مع البقرات؟

– بل كنت في تنازع مع اليقظة. لقد تبينت في الوقت المناسب أن أفضل صديقاتي هي التي جاءت تخرجني من سباتي.

رشفت السيدة الشابة جرعة من القهوة بتلذذ.

– كان عليّ أن أطلب الالتحاق بالمؤخرة. أنا لا أتحرك قبل التاسعة ولا أساوي قبل ذلك شيئا.

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

- هل ركبت جواداً من قبل؟

- لم أقض كل أيام حياتي بين أربعة جدران من الأسمنت. أنا أعرف كيف أستقيم على السرج.

- لقد جئتك بفرس لطيفة جداً وسترين ذلك بنفسك.

وبعد أن شربا قهوتهما خرج الصديقان لينضما إلى الفرقة الصغيرة التي كانت تنتظر في ضوء الفجر الرمادي. كانت المهمة سهلة في ظاهرها تنحصر في جمع المواشي المنتشرة في كافة أركان الأراضي قرب البيت. قرر "بروك" و"ديانا" تشكيل فريق فعيّن لهما الجانب الذي عليهما العمل فيه. انطلق "بروك" بحثا عن الماشية بينما كان على "ديانا" أن تبقيها مجتمعة كلما جاءها بعدد جديد.

لم تكن الشابة قد امتطت ظهر جواد منذ زمن، ولكن ما إن انقضت بضع دقائق حتى تأكدت أنها في وضع يشبه ما تكون عليه وهي على الدراجة: كان عليها أن تجمع معرفتها لينضم إليها الباقي بشكل عفوي. مع ذلك فإن المشهد الفخيم لم يكف عن تشريد ذهنها فكانت الماشية تستغل شرودها. ولما جاء "بروك" بثلاثة حيوانات جديدة وجد نفسه أمام بقرتين سمحت لهما رفيقته بالتشرد.

قالت المربية الحديثة للفارس عندما صار قريباً منها:

- اعذرني. إنهما لا تريدان الإصغاء إليّ.

- أنت تتصرفين بشكل جيد جدا. لكنك ستصبحين منهوكة القوى هذا المساء مادمت بحاجة إلى التدريب.

- لا يزعجنك أمري.. أنا في حالة جسدية متكاملة بفضل النادي الرياضي الذي انتمي إليه.

انزلقت عينا "بروك" من الرأس المتموج بالشعر الأشقر إلى الصدر فالوركين ثم عادتا إلى الرأس.

- هذا واضح: ماذا لو ذهبنا إلى شاطئ النهر لنشاهد الضفادع وهي تبتلع الذباب؟ لتذهب الأبقار إلى الجحيم! ما رأيك!

- لا مجال. أنا مصرة على العودة منتصرة مع ألوف الحيوانات.

- أمر مؤسف! إن شئت قومي أنت الآن بجمعها. أترين الطريق الذي رسمته قوائم الأبقار؟ عليك أن تتبعيه لتجتازي النهر من هناك وستبحثين عن وجود ماشية في الجانب الآخر. فإن وجدت بعضها أعدتها. بينما أقوم بقيادة القطيع من هنا بانتظار ذلك.

- أوامرك مطاعة.

كل شيء تم على ما يرام في رحلة الذهاب. لم تكن هناك أي بقرة تتنزه على الجانب الآخر من النهر فعادت "ديانا" خلال الحقول لتلاقي "بروك" وعندما وصلت إلى النهر لم تجد له أثرا.

كان مجرى الماء لا يتجاوز عرضه أربعة أمتار في ذلك المكان ولم يكن اجتيازه يوحي بأي مصاعب. توجهت الفارسة على طول الشاطئ بحثاً عن مكان تكون فيه مياه النهر أقل حدة. ولما بلغت المكان الذي قدرت أنه مناسب دفعت مطيتها فترددت لكن وخزة بالكعبين جعلتها تستجيب.. تقدمت خطوة في الماء الهادئ ثم أخرى وعندئذ غاصت في الماء.

- أوه! أوه!

وعندما انجلت اللحظة الأولى للمفاجأة نزعت "ديانا" نفسها من السرج فغمرت المياه ساقيها وهي تحاول التعلق بشاطئ النهر.. جمعت كل طاقاتها لتتمكن من الصعود إلى الأرض الصلبة.

ولحسن الحظ كانت الشابة محتفظة بالمقود في يدها ولما استقامت في وقفتها التفتت إلى الفرس وقالت:

- تعالي يابنتي تعالي.

حاولت الفرس الصعود بوداعة لكنها سقطت من جديد؛ لأنها لم تستطع الارتكاز على أرض صلبة. وتكررت المحاولة الثانية فالثالثة بتشجيع من الفارسة وفي كل مرة كانت الفرس تسقط إلى الخلف لتغمر في مياه أعمق.

صاحت "ديانا" متوسلة:

- أوه كلا، أنت لا تستطيعين. لن تغرقي نفسك. "بروك"، "بروك"،

www.liilas.com

النجدة!

ظلت تصيح وتصيح حتى جف حلقها وإذا بصوت يجيب على نداءاتها:

- "ديانا"، "ديانا"، أنا أت.

وبعد عشرين ثانية كان "بروك" يهبط إلى أسفل الردم.

- اعطني يا "بروك"، سوف تغرق!

- لا تجزعي، ستخرج وحدها.

أخذ المقود من يد "ديانا" ودفع الفرس على طول الشاطئ، وبعد أمتار قليلة كانت التربة أكثر ملاءمة وبدفعة من صلبها قفزت الفرس خارج الماء وبلغت باندفاعها أعلى الطمّ (مياه النهر).

انضم المخلّص إلى صديقته التي كانت على بعد خطوات قليلة ووضع يده على كتفها وأقامها أمامه ليتفحص الأضرار.

- هل أنت بخير؟ هل بك شيء؟

- كل شيء على مايرام. ما كنت أظن النهر على مثل هذا العمق.

- أنت مبللة، ألا ترين؟

ألقت السيدة الشابة نظرة على نفسها ثم نظرت إلى رفيقها. كانت نظرة ساخرة مرتسمة على زوايا عيني "بروك" فطوت شفتيها ابتسامة لاإرادية. وبعد ثانيتين أطلق الاثنان ضحكة مجلجلة صاخبة. وعندما هدأ انفعالهما قال "بروك":

- لن تكون عودتك المنتصرة اليوم. تعالي لأساعدك على اعتلاء السرج.

راحت "ديانا" تشعر بالعذاب خلال مرحلة العودة بسبب بنطلون الجينز المبلل الذي كان يلتصق بجلد السرج المشبع بالماء وحبات الرمال التي انزلقت تحت البنطلون ما كانت تسوي الامور ولا النظرات الساخرة التي كانت تتلقاها بين الحين والحين. أخيراً أعلن الفارس قائلاً:

- لقد وصلنا، ارفعي رأسك لن يلاحظ أحد أن بنطلونك ملطخ

بالطين.

- سيدهشني ذلك. على أي حال حذائي ممتلئ بالماء ولسوف يلتفت الجميع إلى صوت "فليب فلوب" الذي سيصدر عن الحذاء في كل خطوة.

ولما أدخلت الأبقار إلى الأرض المسورة قاد "بروك" المحامية إلى خلف البيت وقال:

- بدلي ثيابك بعد أن تمري من هذا الباب وعودي وكان شيئاً لم يحدث وسأنتظرك في المطبخ.

ظلت "ديانا" وقتاً طويلاً تحت الرشاشة بينما كان الرمل يسيل إلى الحوض. كم كانت تبدو مضحكة قبل قليل ببنطلونها المبلل وهي تحاول سحب الفرس بذراعيها! كان "بروك" يبدو كئيباً حقا وهو يمسك بكتفيها.. كلا، كانت كالليلة السابقة التي قبلها فيها وهذا الصباح تصرف كالحمقى!

كان المدعوون قد وصلوا جميعاً في ذلك الحين وعندما انضمت "ديانا" إلى "بروك" راح يقدمها في جميع الجهات "صديقة لـ"جاكي" تقطن في "رود ايسلند".

وحلّت ساعة تناول الطعام فاقترب الرجال من صوان السفرة دون أن يلقوا بالاً إلى عناصر الإناث الحاضرات فاضطرت النساء إلى الانتظار حتى يحين دورهن وعندئذ سيأكلن.

كانت "جاكي" قائمة قرب الموائد تعمل على أن يحصل كل واحد على ما يريد، تشير إلى الملح والشوك أو السكاكين لمن يريد.

قالت "ديانا" وهي تقترب منها معتذرة:

- أنا لا أساعدك كثيرا.

- كل شيء على ما يرام. هل قدم لك "بروك" بعض الناس؟

- نعم، لقد عني بذلك.

راحت تبحث بعينيها عن رفيق الصباح. حملت سلطة البطاطا بيدها واستغرقت في محادثة مع مجهولين. شعر "بروك" بعيني "ديانا"

www.liilas.com

متجهتين نحوه بنظرة ثابتة. التفت وابتسم لها. وبعد كلمة مختصرة إلى محدثيه جاء يلحق بها.

- آمل أن تكوني قد تناولت طعامك؟

- ليس بعد. كنت أتوقع أن يعلن أحدهم: "السيدات أولاً". ولكن يبدو أنه ليس هناك من يهتم بنا.

- نحن هنا ضد الفوارق والمحاباة الجنسية. عليكن معشر النساء أن تقررن نهائياً ما إذا كان علينا أن نعاملكن كسيدات أم بكل بساطة كنساء؟

- لا يمنع أي جانب الجانب الآخر.

- بل يمنع. عندما أفتح الباب لسيدة تبتسم وتشكرني بلطف. لكنني عندما افتحه لامرأة فإنني أسمع صوتاً ينبح قائلاً: "ماذا ألمّ بك. أنا قادرة على على تدبر الأمر بنفسي؟" فابقى حيث أنا أمسك بالباب بشكل يثير السخرية بينما ترفض المرور.

- يبدو أنك عانيت كثيراً في حياتك! إذا عدت إلى صوان الطعام تبعتك.

انحنى "بروك" بحركة لطيفة وقال:

- بعدك ياسيدتي.

ظل المدعوون يملئون حديقة آل "رينهارت" حتى وقت متأخر من بعد الظهر وأخيراً رحلوا بعد أن شارك النساء في تنظيف كل شيء.

ذهب "بروك" و"جيم" للعناية بالأبقار بينما راحت "جاكي" تعطي الأولاد حماما مضيفة "كريس" إلى الحوض لتمتعهم وبعد أن نقلتهم إلى الفراش جاءت تنضم إلى "ديانا" على الشرفة وتجلس إلى جانبها على المقعد المعلق. وبعد أن انتهينا من التعليق على وجبات الطعام تنهدت "ديانا" وقالت:

- أنت محظية حقا يا"جاكي". نعم إنك محظية بسكناك في هذا المكان. إنه على درجة رفيعة من السعادة والوداعة. ليتك تتمكنين من وضعه في زجاجة لتبيعها لي! إنه يساوي كل ما يصفه الأطباء من

علاج!

- كان عليك أن تأتي قبل هذا الموعد.

- وماذا كنت ستفعلين؟

- كنا سنثرثر كحالنا في عهدنا القديم. وكنت سأساعدك على التغلب على أشجانك. هذا ما أمل به على الأقل.

- كنت واثقة بقدرتي على التحرر من أشجاني بمفردي. لم أصرح بشيء لأحد طيلة وقت ما. ثم شعرت بانني في حاجة إلى عون، وأعني إلى عون طبي. أنا الآن في حالة أفضل أجد نفسي كسابق عهدي، أتوق من جديد إلى الكلام وبصورة خاصة إلى أفضل صديقات الدراسة.

أمسكت "ديانا" بلطف بيد "جاكي" نعم لقد باتت الآن قادرة على مد يدها للناس أخيرا، لقد تحررت من رغبة الوحدة.

سألتها "جاكي" باسمة:

- وتتوقين كذلك إلى إيجاد أصدقاء جدد؟

- نعم، تماما.

في الليل سمعت السيدتان وقع أحذية على الحصباء: لقد عاد الرجلان بعد إنهاء عملهما.

استرسلت "ديانا" قائلة بصوت خافت:

- "بروك" شديد المرح وأعتقد انني جاهزة كذلك لأكون مرحة من جديد. ثم إنه باهر الجمال على ما أرى.

- و"جيم" ليس سيئا هو الآخر!

اخترق "بروك" و"جيم" دائرة الضوء الذي ينبعث من مصابيح الشرفة... همست "ديانا":

- ألا ترين أنهما على جانب من الرعونة فوق ساقيهما؟ انظري إليهما كيف يمشيان. إنهما يتبختران كالطواويس.

- لا شك أنهما يعرفان أننا ننظر إليهما!

انفجرت المرأتان بضحكة متواطئة واستقبلتا القادمين مرحبتين. سأل "جيم" وهو يركز ذراعه برفة على كتف زوجته:

www.liilas.com

- أكنتما تنتظراننا؟

- كنا نتذوق سكون الليل. لقد عنيت بـ"كريس" يا "بروك" وهو نائم فوق.

- انت لطيفة وأنا أشكرك.

ظل المربي واقفاً فترة ينظر إلى المرأتين الجالستين جنبا إلى جنب قبل أن يغامر بالقول:

- هل ستوافقين على تغيير مكانك يا "جاكي". ساتيك بمقعد إن شئت.

تدخل "جيم" قائلا:

- أظن أن من الأفضل أن نذهب لننام، ألا ترين ذلك يا "جاكي".

لم يكن غامضاً تواطؤ الرجلين فدخلت "جاكي" في التآمر وقالت:

- أنت على حق. يمكنك أن تأخذ مكاني يا "بروك" إلى جانب "ديانا" ولكن لا تنس أنها افضل صديقة لي.

اختفى الزوجان داخل البيت وكل منهما يلف الآخر بذراعه وأطفأ الانوار برصانة فجلس "بروك" على الوسائد إلى جانب "ديانا" ولم يلبث أن لف كتفي جارته بذراعه.

فكرت المرأة: "هذا غريب"، انا مرتعدة كما لو كنت في الخامسة عشرة من عمري".

قال هامساً:

- حسنا. أفترض أنني سأقول اقوالاً جميلة عن النجوم.

سألته:

- أتظن أن "جاكي" قد نامت؟

- لقد رتبت الأمر بحيث يأخذها "جيم" إلى السرير مباشرة لكنني لا أستطيع أن أضمن أنها نائمة.

- حسنا، حدثني إذن عن النجوم.

عم الصمت لحظة بحيث لم يعد يسمع غير أصوات صرار الليل.

تنهد "بروك" لينهي الوضع وقال:

- انا غبي. لا يمكنني التفكير. بمجرد جملة مشرقة. إنه التوتر على

ما أقدر.

- لكنك كنت تبدو لي في أحسن حال في تلك الأمسية.

- أعرف. لكن الآن... بالسماء، اشعر كأنني عدت إلى الطفولة.

- كان كل شيء سيكون على حال أفضل لو كنا أصغر سنا. لا ماضي، لا حسرات، لا أحزان. كنا سنجد أنفسنا على عتبة الباب.

اشتد ضغط الذراعين على "ديانا". انحنى الرأس ذو الملامح التقليدية والعينين الكستنائيتين تحت أهداب كثيفة على رأسها يشم رائحة شعرها وانطبعت قبلة على جبينها. قال معترفا:

- نعم سنجد صعوبات يتوجب التغلب عليها.

راحت شفتاه تنحدران على عنق زميلته. سألها محاولاً المداعبة:

- أتظنين أنك ستتوصلين إلى التغلب على حيائك؟

- اتوق حقاً إلى المحاولة...

استولى بقوة على يدي "ديانا" وعقدهما وراء مؤخر راسه ثم تذوق دفء شفتيها اللذيذ اللتين وهبتا له وراحت القبلة تزداد إلحاحا بينما راحت أصابعها تزداد انغرازاً في شعر صديقها الكثيف المعقد.

وبقبلة حارقة ردت "ديانا" بحرارة دون أي تحفظ.

- "بروك"...

قال بصوت أجش:

- أود أن الامسك يا "ديانا"، مجرد مداعبة... أوه كلا، أريد أكثر من ذلك...

أغمضت عينيها وعمت الرجفة كامل جسدها.

- كنت محقاً يا "بروك" سنتعرف على مصاعب كثيرة.

انتصب واقفاً وطرح شعره إلى الوراء وراح يتأمل الشبح الذي إلى جانبه وهو يقول لنفسه: "إنها اللحظة المواتية لفرارك يابني، إن هذا كله يتحول إلى تعقيد عميق بالنسبة لك".

كان شعر "ديانا" برائحة الليمون اللذيذة يصيبه بدوار. كان يعرف ذلك تماما فما كان يتيح له فرصة الفرار...

(٣)

www.liilas.com

الفصل الرابع

- أود أن أراك اليوم.

كان الصوت في الهاتف حافلا بالجدية والأمر.

- لكننا يا"بروك" التقينا بالأمس حتى بالأمس مساء.

- أود رؤيتك. هل أنت حرة؟

- نعم، ولكنني...

- سأصل خلال عشر دقائق مع "كريس".

أعادت "ديانا" السماعة. لم يطلب منها "بروك" كعادته إبداء رأيها مع ذلك كانت تشعر بانها تود لقاءه. لقد تمنت منذ اللحظة التي تركها فيها بالأمس أن تراه من جديد. إن في تصرفه وفعاليته ما يوفر لها هبة الإثارة. كانت تشعر منذ حين بأنها استعادت جانبا من حيويتها السابقة بفضل تاثيره فيها.

قالت "جاكي" عندما دخل "بروك" وابنه إلى المطبخ:

- تاخرتما عن وقت الإفطار. عليكما البحث عن مكان آخر يقدم لكما وجبة مجانية.

فرد المربي:

- لقد جئت أبحث عن يد عاملة مجانية وأعتقد أن "ديانا" قادرة على القيام بذلك. لقد أتيح لي بالامس تقدير مستوى كفاءتها. فردت صاحبة العلاقة:

- سأطلب راتباً ابتداء من الغد.

- سأعيدها لك قبل أن يصيح الديك يا"جاكي". هل أنت جاهزة؟ ياسيدتي الصغيرة؟

- لو أحسنت الفهم يكون الأمر دعوة لقضاء اليوم على أراضيك. كان بإمكانك سؤالي عن رأيي لو قلت ذلك.

- لكنني أخبرتك بذلك هاتفيا... لعلني لم أفعل كل ذلك... اصفحي عني ياسيدتي. سأكون في غاية السعادة لو قبلت سيدتي الدعوة لتناول الغداء.

ابتسمت "ديانا" ولمعت عيناها الزرقاوان الكبيرتان بوميض المرح الذي تتوقعه خلال النهار.

- سيبهجني كل البهجة قبول الدعوة ياسيدي، شكرا جزيلا.

- لنمض إذن. لدينا خبز على الرف. هل نظفت زرائب من قبل؟

لم يكن بيت "بروك" يشبه في شيء منزل آل "رينهارت". كان أكثر قدما وأكثر رحابة.. له رواق أمامي كبير وجناح في الجانب القبلي يذكر ببيوت القصص القديمة. دخل القادمون عبر مدخل فرعي. كانت السترات وواقيات المطر معلقة على جدران الغرفة والأحذية مصفوفة تحت الأرفف المحملة بعلب الأطعمة المحفوظة.

قالت "ديانا" ملاحظة:

- لقد حقق بعضهم عملاً في المطبخ خلال الأيام الأخيرة. لا أفترض أنك الفاعل؟

- إنها أمي. لكنني قمت بترتيب الخضار بنفسي.

أدخل "بروك" ضيفته إلى مطبخ حافل بالأزرق والأبيض البالغ الأناقة تحت شمس الصباح الهادئة.

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

- إن بيتك كبير يا "بروك". لماذا ذهبت أمك لتقيم في المدينة؟

- كانت تفضل ذلك فهنا كثير من الذكريات. ما رأيك في عصير البرتقال؟

- رائع، عصير برتقال.

بهذا هتف "كريس" وهو يسوي على الأرض رتلاً من العربات الصغيرة.

- إن مطبخك يا "بروك" نظيف كقطعة نقد جديدة. أنت تستحق وسام شرف.

- نحن نحسن التدبير.. أليس كذلك يا "كريس"؟ أنا أمر بالشفاطة و"كريس" بخرقة الغبار.

- والأم الطيبة تغسل الثياب.

- لستم وحدكم هنا إذن؟ الأم الطيبة تأتي بين الحين والحين؟

- مرة كل أسبوع. لقد تسللت بالأمس إلى هنا لتنظيف البيت.

- فهمت سبب دعوتك لي اليوم!

- إنها فكرة جيدة أليس كذلك؟

- أتريدني أن أعد الغداء؟

- إنه جاهز. إن الأم الطيبة "ريد" أفضل طاهية في القطر.

حلت ساعة تفقد البيت بعد شرب العصير. كان مؤثثا على الطراز القديم بأرضيات ملمعة والمفارش فوق المقاعد، فكانت غرفه تذكّر كذلك بقصص الماضي القديمة باستثناء قاعة الاستقبال التي كانت تشذ عن القاعدة: مقاعد حديثة، جهاز المرئي، مجموعة للمحطات، صندوق العاب مليء حتى حافته، كل ذلك كان يدل على أن سكان المنزل كانوا يقيمون هناك. قال "بروك" مفسراً:

- نعم، هذه غرفتي وأسلوبي وألعابي. كم وددت لو حملت أمي معها كل الأثاث القديم ولكن دون جدوى. إنها تزعم أن هذه الأشياء تخص البيت وهي محقة. انظري، إن جدي هو الذي عمل على بناء هذه الجدران. إن جذورنا هنا.

- أن تكون للمرء جذور أمر مهم بالنسبة لك على ما أفترض.

- المهم هو أن أحقق لابني طفولة نقية وأن يكون سعيدا.

صفق باب على البعد:

- إنه "جاك". إنه يعمل في الحقول معي. وعندما يعود يكون وقت الغداء قد حان.

كان "جاك" ضخم الجثة طويل القامة يرتدي قميصاً أحمر وبنطلون جينز باهت اللون يبلغ ما يقرب الستين من العمر. ولما رأى السيدة الشابة تدخل المطبخ بدا على شيء من الارتباك لكنه ما لبث أن رفع قبعته كاشفاً كتلة من الشعر الأشيب. قال "بروك":

- "ديانا"، اقدم لك "جاك بارنز". "جاك"، "ديانا" هنا في عطلة لدى آل "رينهارت".

- سعيد بمعرفتك ياسيدتي. لم يقل لي "بروك" أننا سنتلقى زيارة.

- بالطبع. كنت ستقضي الصباح في الزينة لتظهر في العقد الثالث، وقد جاءت "ديانا" لرؤيتي أنا لا أنت.

- كنت أظن أنها جاءت لرؤية آل "رينهارت". اجلسي ياسيدتي. هذا الرجل القريب منك ليس حسن التربية كان عليه أن يقدم لك مقعدا.

- يمكنني أن أساعد في...

- كلا ياسيدتي أنت لطيفة.

نادى "بروك" ابنه:

- تعال يا "كريس". سنعد المائدة بينما يقوم "جاك" بالدور الكامل للمضيف.

- كلا ياسيدي لست المضيف. أنت هو. عليك أن تقدم لي ثلاث وجبات طعام كل يوم هذا في صميم اتفاقنا.

أقام "بروك" على المائدة - وهو يبتسم - الدجاج البارد وسلطة البطاطا.

- ستذوقين هذه السلطة يا "ديانا" ولو أخذت برأيي إنها أفضل من سلطة البارحة. أظن أن "جاكي" لم تضع فيها ما يكفي من التوابل.

www.hilasteam

– هيئ نفسك لتلقي الصدمة يا "بروك". أنا التي هيأت سلطة الامس.

راح "جاك" يقهقه دون تحفظ وقال:

– أنت بطل في إعداد الصنف يا "بروك"! وإذا لم تكوني قانعة به ياسيدتي فقولي ذلك وساقوم بإصلاح الخطأ.

اعترض "بروك" قائلاً دون أن يولي انتباها للمقاطعة:

– لم أقل إن السلطة كانت رديئة. يخيل إليّ أن هذه أكثر عناية هذا كل ما في الأمر.

ووجه شوكته باتجاه "جاك" وأضاف:

– أما أنت أيتها العنزة العجوز فتذكر أنك تعمل لحسابي، موافق؟

– لا أنسى ذلك وأفضل دليل هو محاولتي تعليمك التصرفات الجيدة.

قالت "ديانا" ضاحكة موجهة قولها للرجل المسن:

– أنا أحبك وأقدرك بكل تأكيد.

– أقول لك ياسيدتي. كنت ستحبينني حباً أكبر لو كنت أقل سناً بعشرين عاما مما أنا عليه.

تدخل "بروك" قائلا:

– قبل عشرين عاما كنت أكثر بشاعة. يمكنك الآن على الأقل أن تزهو بالقول بأن لك وجهاً مثيرا.

– هذه اسمها تجعدات يابني وسيظل هذا اسمها عندما تحل بك بدورك. ولكن لا يخدعك ذلك ياسيدتي، إن هذا الفتى ليس غبيا بل ينقصه بعض الإدراك في حين لديّ منه ما يتيح لي بيعه.

– ما رأيك أن نغير الموضوع يا"جاك"؟ هل انتهيت من جمع الأرضة في الحقل الجنوبي؟

– انتهيت. كان يزداد جفافاً وليس علينا سوى إحراقه.

كررت "ديانا" بصوت مرتفع:

– جفافا؟ لكنه كان ذا رونق يومذاك؟

قال "بروك" مفسراً:

– هذا أول مطر يهطل منذ مدة طويلة ولم يكن كافيا.

رفع "كريس" رأسه نحو الرجل المسن وقال:

– هل يمكنني الذهاب معك على الجرار؟

– بالتأكيد إذا وافق أبوك. ما هو برنامجك يا"بروك"؟

– حسنا، كنت أفكر في تكريس وقتي لضيفتنا! مع الحرص بأن أكون جم التأدب معها دون ريب.

– سعيد بسماعك تقول ذلك!

ألقى "جاك" نظرة ارتياح على الشابة واستمر قائلاً:

– كنت أخشى أن يكون قد جاء بك إلى هنا لتقومي بعمل ما. تلك هي عاداته لو كنت تعرفين!

– حقا؟ ما كان هذا ليدهشني.

زمجر سيد المكان قائلاً:

– كان عليّ أن أتناول الطعام مع "ديانا" في غرفة الطعام وأن أدع "جاك" يتناول غداءه في المطبخ مع "كريس".

– ما كنت لأقصر عن التعرف على السيد "بارنز" بأي ثمن. أنت تحسن صنعا لو أطلعتني على خططك لما بعد ظهر اليوم يا"بروك".

– حسنا، مادام "جاك" سيرش السماد يمكننا الذهاب لإطعام المواشي.

– هل تحب سلطة البطاطا؟

– عندما تكون جيدة التوابل!

ذهب "جاك" و"كريس" وراح "بروك" يرفع الأواني عن مائدة الطعام تساعده "ديانا". سألته الشابة:

– إن "جاك" أكثر من مجرد عامل عندك.. أليس كذلك؟

أجابها "بروك" مقهقها:

– إنه عجوز مسن هذا كل ما هو فيه.

واتخذ لهجة جدية وأضاف:

– كان دائما أباً لي حتى عندما كان أبي حيا. كان هو الذي يأتي إلى

منتدى لياس الثقافي
www.liilas.com

المدرسة ليشاهد مباريات الكرة التي كنت أشترك فيها. كان أبي يزعم أن لا وقت لديه يضيعه.

- وهل يشتغل بشكل جيد؟

- بمنتهى الجودة. ينهي كل شيء بسرعة البرق.

مدت الشابة باسمة لرفيقها وعاء معداً لغسل الأواني فأخذه منها ووضعه على الطاولة وأمسك "ديانا" بكتفيها واقتطف الابتسامة من شفتيها بقبلة رقيقة.

- ما رأيك؟

- إنها تحلية لذيذة.

- حصيلة عائلية قاصرة. استجيبي لها إذن.

أخذ الوعاء بإحدى يديه وضمه بشدة إلى جذعه المفتول العضلات بينما راح يلامس ظهرها بيده الثانية. أحنى رأسه وعاد يضغط من جديد بفمه على فمها.

- هل... لم تتكلم... عن عمل؟ لا يجب أن أكون... بالغة الجشع.

- حسناً، هناك العشاء دائماً، سيكون لنا بعد ذلك ما يكفي من الوقت لنعود إلى تذوق هذه الحلوى الممتازة.

ومن الطبيعي لم يكن حمل الطعام إلى المواشي موضع بحث.

كان "بروك" قد أعد قبل ذلك لضيفته عملاً أكثر قبولاً: حش المرج لم يكن عملاً منفراً.

وبتوجهها إلى مكان العمل في شاحنة "بروك" الصغيرة شاهد الصديقان على مبعدة رفيقيهما على مائدة الغداء فوق جرار.

أشارت "ديانا" قائلة:

- أنت مخطئ بوجود "جاك" معك يسهم في الاهتمام بـ"كريس".

ألمحت بعبارتها بلهجة خفيفة دون أن تفكر لكنها دهشت إذ رأت وجه رفيقها يتصلب.

- إن ابني ليس وزراً ولست بحاجة لأحد لرعايته.

- وددت القول إنه مفيد لك ولـ"كريس". إن "جاك" يسهم في الأسرة

وهذا يسهل الأمور.

- "جاك" ليس مربي أطفال. أنا معك في أنه يأخذ "كريس" معه أحياناً لكنني لا أتخفف من رعاية الطفل بإلقائها عليه.

- لكن ما من أحد يتهمك بهذا الفعل!

ألقى "بروك" نظرة اعتذار إلى جارته:

- هذا صحيح. أظن أنني ملوم بعض الشيء في هذا الصدد. فالناس يظنون أنني أسيء تدبير الأمور بصفتي رجلاً ولا يكفون عن القول إن عدم وجود أم لرعاية الطفل يجعله في حالة كآبة. وما قلته ذلك اليوم صحيح. إذا ما طلبت "لوري" الغلام فإنه يلزمني أن أتعارك معها للاحتفاظ به.

- لقد برهنت خلال ثلاثة أعوام على أنك تحسن رعايته.

- هذا لا يحسم الأمر. أنا أتصور دائماً زوجتي السابقة تنتصب هنا متذرعة بحالة ما من التدله أو الهبوط العصبي.

أوقف الشاحنة الصغيرة وهو يهز كتفيه قرب آلة زراعية خضراء مركونة عند مدخل مزرعة.

- ها قد وصلنا. يمكنك قيادة الآلة إن شئت.

هتفت الشابة مرتعدة:

- أنا! أقود هذا الجرار الضخم!

- بالطبع وبمساعدة صديقك. وأبين لك في هذه الحالة أن هذه ليست جراراً. نحن في هذه المنطقة نسمي هذا الجهاز محشّة.

حقاً كانت تشبه الوحش الهائل، غول تعلوه حجيرة صغيرة مزججة على القمة وفي المقدمة نوع غريب من السطح. تسلق "بروك" الدرجات الثلاث الصغيرة بجانب الإطار الضخم الأسود واستقر على المقعد الوحيد في الحجيرة. وبعد أن دفع قبعته إلى الخلف، دعا بإشارة من يده صديقته لتتبعه.

سألته هذه وهي تدفع رأسها خلال الباب المزجج:

- أين يفترض أن أجلس؟

www.liilas.com

ودون أن ينطق بكلمة، تراجع رفيقها قليلاً بالمقعد وربت بخفة فخذيه.

- ألن يربكك ذلك عندما تضغط على دواسة البنزين أو المكبح؟

- إن هذا الجهاز يقاد باليد. والدواسات في الأسفل تستخدم في تحريك قضيب القطع. أغلقي الباب سأجرك التكييف.

- يالمزراعين المساكين! كم هو صعب وقاس العمل في الأرض!

انزلقت الشابة داخل الحجيرة وجلست على ركبتي صاحب المحشة.

- أقلت حقاً إن يديك ستكونان دائما على المقود؟

- على نحو ما.

مرر صاحب الآلة ذراعه فوق كتف رفيقته وبعد أن أدار المحرك ورتب الدورة - ضغط على مفتاح المكيف. ولكي يحسن العمل أسند ذقنه إلى كتف "ديانا" فراح نفسه الدافئ يلمس عنق المرأة الشابة لمساً خفيفا. وعندما أنهى المهمة راح يعضعض العنق الجميل. أرادت أن تبعده بيدها لكنه أطبق على رسغها وأدنى ذراعه إلى الأمام.

- القاعدة الأولى. عدم رفع اليدين على المقود، راقبي قضيب القطع.

انفرجت الفخذان العريضتان اللتان كونتا مقعد "ديانا" فارتفعت المقدمة الضخمة لتهبط بعد ذلك قرب الأرض ثم تحرك الغول الأخضر نفسه تشبثت المرأة الشابة بالمقود وعيناها جاحظتان من الرعب. أوصاها الأستاذ وهو يضع يديه فوق يدي التلميذ السائق قائلاً:

- اهدئي. سنقوم بجولة في الحقل لنحدد العمل.

تقدمت الماكينة على طول المرج والقضيب القاطع أمامها يبتر كل ما على طريقه بينما راح الغبار والقش يتطايران حولها. ولما اجتازت المسافة المطلوبة حرك الموجه دواسة فارتفع قضيب القطع وأدار المقود فدارت الماكينة بزاوية قائمة لتعاود الانطلاق وقضيب القطع يعود إلى الأسفل كما كان.

لم يلبث ميدان العمل أن أحيط بطريق من العشب المحفوف فأبقيت المدنية سيدة للجهاز. شعرت وهو يقفز بمنة ويسرة فوق ركبتي

صديقها بإحساس تسلط غريب وهي جالسة فوقه تتحكم في الغول الضخم الذي يهيمن على المرج. ولما وصلت إلى نهاية الحقل استدارت لتتفحص موجة الحشائش المتروكة على الأثر. زمجر الأستاذ قائلاً:

- انظري إلى أين تمضين ياسيدتي. تكادين الارتطام بشجرة.

- ولكن ليس هناك شجر على مدى البصر.

- عمود إذن.

استمرا ذاهبين وعائدين دون توقف تحت الشمس، يزيدان في كل مرور حجم المساحة المحفوفة. وعندما طال أمد العمل منحا نفسيهما فترة راحة باحتساء الشاي المبرد الذي جاء به "بروك" في ترمس.

- أما كفاك عملاً يا "ديانا"؟ يمكننا التوقف إن كنت تشائين.

- لعلني أزعجك.

- أنت تمزحين! لم أحس قط بمثل هذا السرور.

- وإذا أنهينا هذا الحقل أنكون قد قمنا بعمل جيد في هذا اليوم؟

- بكل تأكيد. لكنك لن تحصلي على راتبك لقاء ذلك، فهناك الحيوانات التي يجب إطعامها وباب مكسور علينا إصلاحه.

- لنستمر إذن.. مؤخرتي قادرة على الاحتمال.. أكذلك ركبتاك؟

- ستكون ركبتاي في سعادة بالغة باستقبالك من جديد.

كان وقت بعد الظهر قد انتهى عندما بلغ العاملان نهاية سعيهما. أوقفت الماكينة على جانب الحقل وعادا إلى العربة. سألت المرأة الشابة وهي تمسح جبينها بظهر يدها قائلة:

- إذا لم يكن الأمر مزعجاً لك فجنبني في المرة المقبلة السير على قدمي هذه المسافة. أوقف الماكينة إلى جانب العربة تماما.

- المرة القادمة؟

- أنت تعرف أنني هنا لأتذوق الحياة الريفية وعمل الريف القاسي. لا أظن أنك سترفض عونا على مثل هذه الرغبة الطيبة.

- يمكن القول: إن لك هبة النظرة المزدوجة.

- لقد أكدوا لي ذلك دائما.

منتدى الألوكة الثقافي www.Hilaal.com

كانت "ديانا" في المطبخ عندما أعلنت ضجة محرك عودة جرار "جاك".. رأت خلال النافذة "كريس" يقفز من مقعده ليهبط بين ذراعي الرجل العجوز. وإذا أزحنا جانبا أحذية كرة المضرب وجدنا الطفل يشبه أباه بنسخة مصغرة: الشعر الرمادي القصير والمجعد نفسه والعيون المليئة بلون الشمس والوجه الذي على حافة البسمة. ولو كان صغيرها "روبي" حياً لبلغ الثالثة من العمر وكان يحتمل أن يكون الآن مع "كريس" يتمازحان وأن يكبر ليصبح رجلا...

انبعث صوت من ورائها يخرجها من تاملاتها. وقال رب البيت وهو يدخل إلى الغرفة:

- سنستطيع تناول العشاء ها هما.

- كيف؟ آه نعم، ها هما... ما رأيك؟

وضعت الطباخة أمام مضيفها طبق سلطة تملؤه أوراق خضراء لامعة.

- لقد أضفت أوراق السبانخ. ما كنت أتوقع وجودها في ثلاجة رجل.

- قلت لك: كانت أمي هنا بالأمس. ساهيئ المشويات. كيف تريدين قطعتك؟

- زرقاء. وأنت قهوتك؟

- كثيفة.

ظهر "جاك" على عتبة الغرفة وهو يجر "كريس" وراءه متلعقاً به.

- عمت مساء ياسيدتي. أرى هذا الغلام لايزال يغرقك في العمل. هذا خير لنا. لاحظي أننا لأول مرة سنحظى بطعام جيد.

كان العشاء رائعا في الحقيقة والمشويات الطازجة لذيذة إلى أقصى حد. قالت "ديانا" معترفة بعد أن ذاقت قطعتها:

- الحقيقة أنني لا أتناول لحم البقر أبدا. يقولون إنكم معشر المربين تحشون حيواناتكم بالهرمونات وباشياء أخرى من هذا القبيل. فانا أبتلع ما يكفي من المنتجات السرطانية من منتجات أخرى!

- بما في ذلك الهواء الذي تستنشقينه في "نيويورت"؟

- هل هذا صحيح؟ هل صحيح حقا أنكم تلقمون ماشيتكم أغذية شاذة؟

- عن الآخرين لا أعرف شيئا. أما عن هذا الثور الذي أمامك فانا "بروك ريد" أستطيع أن أؤكد لك أنه كان يتغذى بالعشب الأخضر الجيد. أنت في واقع الحال تقومين بشيء غريب شاذ. هل أنت حقاً بحاجة إلى غمر هذا اللحم اللذيذ بهذا المرق المركب؟

ابتسمت "ديانا" وقالت:

- أنا مولعة بهذا، مولعة بالطعم الكيميائي للمنتجات التي تخرج من المصنع.

وبعد انتهاء العشاء عملوا معاً على ترتيب المطبخ ثم صعد "كريس" إلى غرفته لينام بينما جلس "جاك" أمام جهاز المرئي قبل أن يعود إلى بيته. أما "بروك" و "ديانا" فقد ذهبا من جانبهما للعناية بالخيول.

في الخارج كان الليل قد عمّ. شعرت "ديانا" بلذة العودة إلى الهواء الطلق بعد دفء الجو في البيت. وبعد أن أعانت صديقها في صب حبوب ذات رائحة في المعالف ظلت السيدة الشابة فترة طويلة ترقب مهراً يرضع حليب أمه بنهم. ترى بماذا يمكن أن تشعر الأم وهي ترضع طفلها؟ لم يعد هناك وقت الآن للعودة إلى التجربة. كان عليها أن تغذي وليدها عندما كانت الفرصة متاحة لها. لعلّ كل شيء كان سيتغير. برؤية المهر في كل الحالات يبدو الحليب الذي تفرزه الأم قادراً على تأمين صحة جيدة.

سال صوت قريب من السيدة الشابة:

- بم تفكرين؟ أنا مستعد لدفع مائة فرنك لمعرفة أفكارك.

- أوه، الخيول، العلف، الحقول. الأشياء الطبيعية بصورة إجمالية.

وضع "بروك" سطل الحبوب على الأرض ليضم صديقته بذراعيه. أشار بحركة من رأسه إلى الهرم غير المنسق الذي تشكله حزم الحشيش المرتبة قرب الرزم وقال سائلاً:

www.liilas.com

- ما رأيك في الصعود إلى الأعلى لتتمتعي بالرؤية؟ أود أن أطلعك على ملكيتي الخاصة.

- هل أنت مستعد لتؤكد لي أنه لن يكون هناك لعب باليدين؟

- لكن وقت اللعب قد حان الآن! لقد انتهى يوم العمل.

- ومن المؤكد أنك ستفعل. ولكن كيف نستطيع التسلق إلى أعلى هذا الملعب؟ إنه على ارتفاع لا يقل عن ستة أمتار من الأرض.

- لعبة أطفال ياسيدتي الصغيرة. ما عليك إلا استعمال السلم.

تسلقا الهرم الواحد تلو الآخر من رزمة حشيش إلى أخرى. كان "بروك" في غاية السرور بصعوده وراءها مما يتيح له مشاهدة جسم ضيفته المرن. قالت "ديانا" بقلق وهي تقف في منتصف الطلعة لتلتقط أنفاسها:

- أليس هناك فئران على الأقل؟

- فئران؟ آه طبعا فئران حقول. لكنها الآن تتسلى في العشب.

ولما بلغت القمة رفعت المتسلقة الألبية ذراعها بحركة انتصار:

- أنا الأولى التي تضع قدمها على هذه الجزيرة! أقدم نصري للملك ولوطني.

- أشكرك ياسيدتي الشعبية باسم مملكتي. تعالي واجلسي بالقرب مني أيتها الأميرة اللطيفة.

كان ضوء أصفر يخرق الظلام من جانب البيت ولم يكن يعكر صفو سكون الحقول غير صوت اجترار الخيول لعلفها. ظل الصديقان متجاورين في الجلوس فترة طويلة يتذوقون رائحة الحشائش وسكون الطبيعة. همست المرأة أخيرا قائلة:

- لقد أحببت هذا اليوم حب عبادة.

- أنت ظريفة بل أنت فتاة غاية في الظرف.

- ياللتهنئة الغريبة! ما أظن أنني بت أستحقها حتى الآن.

- حسنا أنا أقدمها لك. كان يمكن لهذا اليوم أن يكون ككل الأيام السابقة. لقد قمت بالأعمال التي أقوم بها كل يوم. لكنك كنت هنا

فاختلف كل شيء.

إن لك أسلوبا رائعاً في معالجة الأشياء.

- أنت تتكلم عن نفسك يا "بروك" أما من جانبي فإنني لا أستطيع القول إن هذا النوع من العمل يشكل جانبا من عملي المألوف.

- بكل تأكيد فانا لا أستطيع القول إن لك مظهر محامية.

رفعت المرأة الشابة عينيها لتتذوق بشكل أفضل لمسة الشفاه المذكرة التي داعبت جبينها. هبطت الشفاه على طول أذنها فداعبت لهثة دافئة عنقها. دمدمت بصوت مرتعد:

- أنت... كشرائح لحوم شمال "داكوتا" بطعمها ولذتها.

- مع كثير من المرق الجيد التحضير؟

- لا، دون مرق. لا ضرورة لإضافة شيء ما على...

قطفت القبلة التي قدمها لها بفم منفرج وتذوقت اللسان الذي كان يبحث عن لسانها. همست عندما عادت إلى وضع يمكنها من الكلام:

- هذه المرتفعات تصيبني بالدوار.

- لا علاقة للمرتفعات بدوارك.

وضع يديه على كتفي رفيقته ومددها على العشب اللاسع.

كانت شفتاه تضغطان على شفتيها فادخل لسانه في الفم الدافئ وكأنه يريد الوصول إلى رفيقته في أعمق أعماق ذاتها. شعرت "ديانا" وهي ترتعد بيد ترفع قميصها من حزامها لتستقر على جسدها العاري.

ذكّرتها الأصابع الخشنة بلمسة الصوف الطبيعي. كانت مثله تثير الجلد بلطف وتُشعر مثله بالنعومة والدفء عند اللمس.

عندئذ أحنى "بروك" رأسه إلى الوراء ثم غمس أنفه وهو يغمغم بصوت خافت في الشعر الأشقر. استدارت "ديانا" نحوه وبهذه الحركة التقت الشفاه بخد رفيقها فقبلته قبلة مفعمة بالرقة.

- "بروك"، إلى أين نسير؟ نحو ماذا نتوجه؟

- أود أن تكوني ممتدة إلى جانبي على سرير عريض ناصع البياض

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

يا "ديانا".

- ليس الوضع مواتيا في هذه الحالة. نحن هنا في وجار فئران.

- انت على حق. فالحشيش هنا ليس على المرونة التي اريدها.

- حتى الآن، كنت أعتقد أن أكوام الحشائش تتيح مأوى رائعاً للعاشقين.

- للأسف! منذ تم ابتكار الحزامات الآلية لم تعد الحزم على ما كانت عليه. إن شئت...

ما استطاع إتمام جملته حتى منعته المرأة الشابة بصيحة قصيرة حادة:

- أي!. لقد لسعني شيء ما.

- لن يجرؤ أحد على لسعك ياعزيزتي.

- بل صحيح أؤكد لك. لعلها فارة حقل؟

- أو جرذ رزمة الحشيش.

شد المربي صديقته إليه بحيث يحميها بجسمه:

- لا تتحركي. إذا هوجمت دافعت عنك ودفعت الأذى.

لم يتم أي هجوم لفرحة "بروك" العارمة.. لم يعد يشعر في تلك اللحظة برغبة الدخول في المعركة. لكن النفس المداعب والشخص الذي بين يديه كانا يشكلان رفيقا كاملاً لرجل في مثل ذلك الوضع.

بدت على البعد فجأة شعلة نار تمزق السماء السوداء. استقرت "ديانا" على مرفقيها:

- ماذا كان ذلك؟

- ومضة برق بسبب الحرارة.

استقام المربي متنهداً وقال:

- وهذا يعني أننا لن نستطيع البقاء هنا، علينا مغادرة المكان.

انبعث وميض جديد مائل إلى الحمرة وتذبذب على الأفق. اذهل الخوف "ديانا" فتمتمت:

- لم أسمع صوت الرعد.

- إنه برق حرارة كما قلت لك. إنه يمضي دون ضجة. تعالي، أعطني يدك سأساعدك على الهبوط.

عانقها مرة أخيرة بقبلة سريعة مفعمة بالرغبة ثم تابع قائلاً:

- تعالي، الأمر خطير.

تمتمت قبل أن تمسك اليد الممتدة نحوها:

- ومكهرب كقبلاتك.

مقهى ليلاس الثقافي
www.lilas.com

الفصل الخامس

أي فكرة تلك التي احتلت رأسها وجعلتها تأتي إلى هنا وتلجأ إلى آل "رينهارت"؟ لماذا فكرت في أنها ستنسى عندهم فراغ وجودها؟ لقد ارتكبت خطأ لا فائدة من إخفائه عن نفسها.

راحت "ديانا" تستعرض الحلقة التي جرت منذ قليل وهي وحدها في المطبخ. كانوا يتناولون العشاء بشكل عائلي عندما احتل فجأة إحساس واضح كل كيانها، إحساس بأنها كالمحشوة في علبة لتشهد مسرحية دون أن تتوصل إلى المشاركة فيها.

تمتمت بكلمة اعتذار وقامت عن المائدة لتحتمي في البيت.

وعندما قرع جرس الهاتف فكرت الناعسة في بادئ الأمر ألا تجيب. ما كانت تريد محادثة أحد ولا سماع صوت إنسي. لكن الجرس استمر في الرنين فرفعت السماعة وهي منهكة لتوقف الضجة التي تمزق أذنها الوسطى. سألها صوت مألوف:

- أنت أمينة سر عائلة "رينهارت"؟

- كلا... ضيفتها... مع من تريد التحدث؟

أصبحت لهجته رنانة منفعلة وكانت تعرف المتكلم. كيف تتمالك نفسها؟

- الضيفة تناسبني. أأنت وحدك؟

- كلا، أنا... "بروك"؟

- كنت أظن أنك تعرفين صوتي.

بدأ الضغط في العلبة يخف درجة. قالت:

- اعذرني يا "بروك"... كنت ساهمة.

- أحب أن أراك إذا لم يكن لديك ما هو أفضل من ذلك.

ولما لم يتلق أي جواب عاد الصوت يقول:

- ماذا في الأمر؟ ألست على ما يرام؟

- بل على مايرام... انتظر، سأسأل "جاكي" إذا كان يمكنك المجيء.

- أنت من أريد رؤيتها. اتفقنا؟

- جيد جدا، تعال.

\# \# \#

ياله من مهزلة هذا الطلاق! صحيح أنها تجد نفسها حرة بحكم القانون، ولا ريب أنها لم تعد تشعر بأي عاطفة نحو "دوج". مع ذلك يالها من ورطة الآن! لقد باعا كل شيء عند الافتراق: البيت، الأثاث، السيارات. يتم التصرف على هذا النحو من قبل من يود التظاهر بالتمدين: كل شيء يباع ويُقسّم المال ويعود كل جانب للانطلاق من نقطة الصفر. إنها تقيم حاليا في حي آخر وشقتها فاتنة وبارزة الشكل ولكن ليس فيها حديقة ولا طاولة لتناول الطعام عائليا خارجها.

كلما كانت "ديانا" تعاود التفكير في زواجها كانت الأفكار ذاتها تعود إلى ذهنها: فكرة التورط والإخفاق.. فكانت تحتقر نفسها لضعفها.

- ألا تشعرين أنك على ما يرام يا "ديانا"؟

إزاء صدى الصوت تنحت التعيسة عن النافذة. فكرت في "أنه يمكن القول إنني طفل خطاء وأنني فوجئت وأنا أتجسس".

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

- ليس هناك ما يقلق يا "جاكي". لقد اتصل "بروك" قبل قليل وسيحضر. لكنني لست واثقة برغبتي في التحدث إليه هذا المساء.

- لماذا؟ هل... أبدى نفسه شديد التلهف خلافاً لذوقك؟

- كلا، كلا، مطلقاً. أحب "بروك" حبا جما.

- حسن إذن، أين المشكلة؟

ضربت المرأة الشابة بيديها خشب الطاولة القاسي وقالت:

- المشكلة أنني أعيش على بعد ألفي كيلومتر من هنا وأنني سأعود إلى بيتي بعد أسبوع أو أسبوعين. لو فكرت في مغامرة لاشتريت بطاقة على ظهر سفينة في منطقة الكاريبي، أتفهمين يا "جاكي"؟

- ليس عليك إلا الامتناع عن رؤية "بروك" إذا كنت تفكرين على هذا الشكل.

- لكنني أتوق لرؤيته وبنفس الوقت أريد ما كنت أريده دائما وهو التسلية، معرفة الجهة التي أتوجه إليها. لاحظي أن الأمر لم يحقق ذلك حتى الآن.

علا صوت الشاحنة الصغيرة من الخارج وهي تسير على الرمال. شعت من عيني ربة البيت ومضة مضحكة وهي تتأمل صديقتها برهة وقالت:

- حسنا. سأقول لـ"بروك" إنك متعبة وإنك لا تستطيعين رؤيته.

- كلا مطلقا!

لفت كل واحدة صديقتها بذراعها وانطلقت السيدتان إلى الحديقة.

كان الجار يتكلم مع "جيم" وقدمه فوق مقعد خشبي. ولما رأى المحامية قادمة استقام ليستقبلها بابتسامة حارة. وعلى الفور شعرت المرأة الشابة بأفكارها القاتمة تطير.

وبينما كان "كريس" وأولاد "رينهارت" يلعبون فوق العديد من الطاولات شرب البالغون قهوتهم في رقة النهار الذي يكاد ينتهي.

سأل "بروك" بعد أن احتسى آخر جرعة من قهوته:

- هل تأتين معي لنقوم بجولة في السيارة؟

أجابت "جاكي" على الفور متدخلة:

- فكرة جيدة. وبالمناسبة يا "بروك"، أنت تعرف أن غداً سيحل عيد في المدينة فهل يمكنني الاحتفاظ بـ"كريس" هذه الليلة لآخذه غداً مع أولادي؟

- أنت أم الجميع! وبمقابل جهدك سأشكرك بأمسية صور متحركة في المرئي الأسبوع المقبل، فلدي مجموعة كبيرة من التسجيلات المدخرة.

ظلت "ديانا" فترة طويلة في الشاحنة الصغيرة صامتة تشاهد معالم الطريق.. ها هي ذي تنفرد مرة أخرى مع هذا الرجل الذي يروق لها كثيرا. وبتطلعها إلى الطريق أدركت أنه يحملها إلى بيته في المزرعة.

ماذا كان يغذي من نوايا؟ كيف ستمر الأمسية؟ لم تكن قد قامت بألعاب غرامية منذ زمن طويل. لا ريب أنها تبلدت قليلاً. لماذا تشعر رغم سنها بهذا التلهف كالبافعة؟ لم هذا الاكتئاب حيال الساعات المقبلة؟

انبرى السائق فجأة بعد إلقاء نظرة على مسافرته يقول:

- كنت تبدين لي بعيدة جداً لما خاطبتك.

- لم... لم أتعرف عليك في الحال.

- أتريدين أن نذهب إلى بيتي! لدي زجاجة شراب ومجموعة جيدة من الأسطوانات.

- من الموسيقى الهادئة؟

- من الموسيقى التي ترضي كل الأذواق وساستعمل التي تناسبك. لديك كآبة في نفسك أليس كذلك؟

- الوقت يتغير بسرعة أحيانا، مشمس في يوم وغائم في اليوم التالي. وهذه هي حال مزاجي هذه الأيام الأخيرة. كنت معتادة على استقرار أكبر.

- استقرار في جانب الشمس أم جانب الغيم؟

- بينهما. حازمة، متينة، هكذا كنت خلال وقت ما.

www.liilas.com

- كما انه على كل امراة عمل تكون عليه، لكننا لسنا هنا نتكلم في العمل. لا يجدي التنكر بقناع. كوني على المزاج الذي يتفق معك. وساجد لك الموسيقى التي تناسبك.

ظلت "ديانا" وحدها في غرفة الجلوس بينما ذهب رب البيت لياتي بالمشروبات. كان عدد من الصور مبعثرة في الغرفة، "كريس" منذ أيامه الأولى وحتى سنته الخامسة، وكذلك صور الشاب "بروك" كلاعب كرة أو بحار.

- بماذا تفكرين؟ أتجدينني بهياً في الزي العسكري؟

وضع المضيف على المائدة صينية عليها كاسان وزجاجة شراب.

- ليقال إنك تتواضع "كفتى البحرية الذي له امراة في كل ميناء" إضافة إلى فتنة "جين كيلي" بالتاكيد.

راحا يتذوقان الشراب صامتين وهما على الأريكة متجاورين جنباً إلى جنب. وضعت "ديانا" كاسها على الطاولة وقالت بزفرة أطلقتها:

- أوه يا "بروك"، كل هذا شاذ وغريب. لماذا أجدك على هذه الدرجة من الفتنة؟

- لا شيء غريب في هذا. إلا إذا نما لي رأس آخر او أي شيء من هذا القبيل.

- لست أنت المثير للسخرة بل أنا. لقد جئت إلى أسرة "رينهارت" لأستريح خلال بعض الوقت. انت تعلم: الطبيعة، المساحات الواسعة، التسلية لدى صديقة طفولة. لا شيء أكثر إثارة من حمامات الشمس وذكرى أيام الدراسة عندما يحل الظلام!

والتفتت إلى جارها لتحدق إلى عينيه واسترسلت قائلة:

- لم أعوّل على لقائنا.

- أنا أناقض برامجك إذا كنت أحسن الفهم.

- أتضيف بعداً مكملاً؟

- اعلمي يا "ديانا" أنني لست كذلك من الذين يبحثون عن مواقف معقدة. ولكن كل صباح، منذ أن جئت إلى هنا، أستيقظ مع الفكرة

ذاتها: أن أراك وأن أكلمك. أتفهمين ما أعنيه؟

تنهدت المراة الشابة قائلة:

- آه نعم، أفهم تماما.

- وإذا حاولنا الا نزعج انفسنا كثيراً بالغد؟ نحن نروق لبعضنا كلينا، الا يمكن نسيان الباقي قليلاً؟

بقيا في مكانهما طويلاً يصغيان إلى موسيقى الاسطوانات ويتذوقان شرابهما ثم قاما استجابة لإلحاح "بروك" ليرقصا.

ضم كل منهما الآخر إلى صدره وراحا يتارجحان تبعاً للإيقاع البطيء والمسكن الصادر عن الوسيقى. كان الراقص يتابع بيده المستقرة على ظهر رفيقته حركة جسميهما على طريقته برقة ولذة شيقة. وعندما احنت "ديانا" راسها إلى الوراء أدرك ما تتمناه وبضغط فمه على فمها جعلها تفهم كل أحاسيسه.

سحب شفتيه فترة ليضايق العنق الرقيق ثم عاد الفم من جديد إلى وضعه الأول يعزف الطف أنواع الموسيقى. وفي القبلة التي كانا يتبادلانها كان يمنحها أعمق ذاته. لذا ظلا ساكنين في مكانهما يرقص لسان كل منهما مع لسان الآخر كحيتي كوبرا تتموجان على لحن شبّابة (الناي).

- اسمحي لي أن أعطيك ما تتوقعين يا "ديانا".

- أنت لا تعرف ما أتوقع.

- نود أن نكون أكثر التصاقاً أحدنا بالآخر وأن نتقاسم هذه الليلة معا. هذا ما نتوق إليه أنت وأنا.

- انا أخاف من رغباتي يا "بروك".

مرر "بروك" يده على خد صديقته ودفعها إلى رفع راسها. لم ير من قبل تلك النظرة في عيني امراة، نظرة كئيبة فزعة. اكتسح الحنان قلبه كرجل فاخذ وجهها الشاحب نحو صدره وهو يدمدم:

- صدقي او لا تصدقي، أنا رجل لطيف.

- الرجال اللطفاء لا يثيرون اهتمامي، انا أفضل الرجل الحنون،

www.liilas.com

الحنون حقا.

- إذن ابقي معي هذه الليلة. أستطيع القول إنني سأكون هذا الرجل بالنسبة لك. اسمحي لي أن أجرب.

تنفست "ديانا" رائحة الكولونيا المختلطة برائحته كرجل وأنفها قريب من الجذع الرجولي.

- أريد أن ابقى معك حتى ولو لم يكن إلا لتزيد في عناقي.

- أنا أحسن العناق.. ألا تجدينني هكذا؟

- أعلى من المتوسط قطعا.

- كم من القبلات تطلبين لتشعري بالرض في ساقيك؟

- ليست لدي أي فكرة فانا صلبة محرقة. ولكن إذا كان لديك منها في الاحتياط فسنرى ما سيكون.

- أصدقك القول إنني أشكو من بعض الغموض في الرمزية.

كانت الشابة تشعر بعناء مؤكد في فهم ما يقوله شريكها بسبب تلك القبلات التي كان يغطي وجهها بها. سالته بصوت مغناج:

- ما نوع هذا الغموض او هذه المشكلة هنا؟

- وددت لو نتابع هذه المحادثة في غرفتي. وإذا كنت أجيد فهم درسي فإن عليّ أن أحملك بين ذراعي وانقلك إلى فوق.

- وماذا بعد؟

- أتساءل: هل أنت من نوع النساء اللواتي يسمحن بان يختطفن بهذا الشكل؟

- بل أخاف بشكل خاص الا تكون قادراً على حملي. إن سيد البيت يخاف السلالم.

- رب البيت مذعور فعلاً من فكرة احتمال سقوط البسطة على ارضية الغرفة.

يا له من شعور غريب الإحساس بان تُحمل المرأة على ذراعي رجل! ولو قام بحركة ما، فإنها - "ديانا بيترز" - ستسقط على الأرضية. حقا إنها لتشعر بإحساس غريب وهي ترى نفسها متوقفة تماماً على

شخص آخر. ولكن الم يكن ذلك لذيذاً كذلك؟

- اقدم لك غرفتي، وغرفة "كريس" في الجانب الآخر من الممشى.

كان اثاث قديم من خشب السنديان يزين الغرفة الرحبة وضوء القمر يدخل من اعلى النوافذ فيغمر الامكنة بجانب من العتمة الغامضة. مد "بروك" إحدى يديه نحو قاطع تيار المصباح لكنه توقف في منتصف الطريق: فعلى الرغم من الزهو الذي كانت رفيقته تجهد نفسها لإظهاره فإن اي حركة خاطئة قادرة على تنفيرها.

حط رب البيت حمله اللطيف على الأرض. ودون أن يتفوه بكلمة، لاحظ صديقته وهي تقترب من الصوان وتلامس فرشاة شعره وكانها تحاول تقدير نوعيتها. تمتمت "ديانا" وهي تضع اصابعها على سدادة الزجاجة:

- انا أحب رائحة هذه الكولونيا عليك.

- انت لطيفة، وانا أشكرك.

ادارت الزائرة كرسياً قديماً من الخشب ألقي فوقه قميص واقتربت من النافذة المفتوحة وعلى ضوء القمر راحت تتفحص الممر فالحقول المحلقة بالحواجز والتلال التي يتوقعها المرء على البعد.

- منذ أمد طويل يا "بروك"، أود القول... منذ زوجي ما عرفت...

- أعتقد أنني خمنت ذلك.

دنا "بروك" من الخيال الذي كان ينعكس أمام النافذة والسجادة تكتم وقع خطاه وبحركة رقيقة وضع يديه على كتفي صديقته.

- انت سيدة رائعة وأود أن اتقاسم هذه الليلة معك. أريد أن أحبك ياعزيزتي، ولكن إذا كنت لا ترغبين عندئذ فسوف...

- لقد وعدتني بقبلات أخرى يا "بروك".

- هذا صحيح، صحيح كل الصحة.

عادت شفاههما تضغط بعضها على بعض بتزاوج لطيف. راح لسان "بروك" يطوف حول الفم البالغ النعومة قبل أن يتعمق في الداخل بينما راحت يداه تداعبان الظهر الضامر وتصعدان ببطء إلى أعلى الكتفين.

www.liilas.com

أما رفيقته فقد استسلمت لقبلته وهي تتأوه.

وزراً بعد زر انفتح قميص "ديانا" تحت اليد المتوترة. أرغمت نفسها وهي مستلقية على عدم الحركة. كانت راغبة في ذلك الرجل، راغبة اقتسام هذه الليلة معه، أما عن المستقبل فسيكون هناك ما يكفي من الوقت غداً للتفكير في ذلك.

تمتمت وهي تتنهد:

- "بروك".

- أنا هنا ياعزيزتي.

لم تعد قادرة على التنفس بشكل جيد بتأثير تلك المداعبات وتزايد الأمر حتى تحول إلى ارتجافات تملأ جسمها. همس وفمه قرب أذنيها:

- لنحب بعضنا ياعزيزتي. دعينا نجوب هذا الطريق معا.

وعندئذ لم يعد شيء يوقف العاشقين.

وعندما طبعت "ديانا" قبلة على صدر الرجل الذي جعلها في منتهى السعادة طيلة وقت ممتع اعترف لها مدمدماً:

- هذا ما احتاج إليه، اتعلمين، من امرأة حلوة مثلك.

- أشكرك يا"بروك". أشكرك على هذه اللحظات. أشعر أنني مختلفة الآن.

- إلى الأفضل أو الأسوأ؟

- بل الأفضل. أفضل ما يكون عليه الأفضل. لا أذكر أنني شعرت بهذا اللون من قبل. لم يجر هذا أبدا... لم ينتج مثل هذه النتيجة لي.

- منذ قليل كنت تقولين إنك تخافين رغباتك والآن تعلنين انك في حال أفضل. يخيل إلي أننا حققنا بعض التقدم.

- وأنت يا"بروك"، ما هي أحاسيسك؟

- أعطيتك كل مشاعري ياعزيزتي، كل رقتي وكل رغبتي. وأنا أشعر الآن أنني في حالة أفضل جدا.

- أشعر أنني... كيف أعبر؟

توقفت المرأة الشابة فترة للبحث عن الكلمات المواتية.

- أشعر أنني بكامل الوداعة، نعم هذا ما أعنيه. لقد جعلتني أشعر بمنتهى الوداعة.

أطلق "بروك" ضحكة خفيفة، راحت يداه تجوب كامل الظهر والعنق إلى منحدر الكليتين.

- لعلني أذيتك بيدي القاسيتين فأنا عامل ذو أصابع اخشوشنت بتأثير العمل.

- لك يدان غاية في الرقة، يدان رفيقتان لرجل رقيق.

- رغم ذلك إنهما على جانب كبير من الخشونة بالنسبة لأميرة مثلك. سنرى غداً إذا ما كنت تحتفظين بأثرهما.

- لن يكون هناك أي أثر إلا إذا كنت قد وضعت تحت فراشك جلبانا (عشبا) طبعا. في هذه الحالة سيكون في جسدي أثر كما تقول قصص الأساطير.

راح العاشق يداعب بأنفه الشعر المنتشر على وجهها:

- سأحصل غداً على هذا الدليل يا ابنتي. كانت هذه غايتي من استضافة هذه الليلة وغداً سأعرف إذا كان الجلبان (العشب) الصغير قد جرحك.

- هل أنت متأكد من أنه لن يجعلني أهرب منك إلى الأبد؟

- سأرغمك على البقاء يا"ديانا". سأحتفظ بك سجينة في قصري السحري.

- عدني بأنك لن تتحول إلى سجان يا"بروك".. عدني بذلك وسأسمح لك بتقبيلي من جديد.

- من السيد هنا؟ إنه أنا.

وفي حركتها التي حاولت بها الإفلات من اليد التي تود الإمساك بها داست "ديانا" على مادة غريبة ملقاة على الأرضية. استولت على ذلك الشيء وراحت تتحسسه ثم رفعت ذلك الشيء بيدها وهتفت مغتبطة:

- ياسيد، يؤسفني أن أعلم سيادتك أن ثيابك مبعثرة على أرض

www.liilas.com

غرفتك. ليس لبنطلون الجينز هنا أي دور إذا تقبلت رأيي.

كان ضوء الشمس الباهت يدخل إلى الغرفة من النوافذ العالية عندما استفاقت النائمة وتمطت بكل أعضائها. وبنظرة منها لاحظت غياب رفيقها. استدارت على جبينها لتشم رائحة الكولونيا ذات الرائحة العبقة ولمست المخدة التي وضع "بروك" رأسه عليها طيلة الليل.

من المؤكد أن سيد المزرعة كعادته كل يوم، قد قام ليمارس أعماله بالعناية بالحيوانات أو بعزق الأرض الزراعية. حسن جدا، ستقوم بتحضير إفطاره. وفي البداية ستستعير بذلته وستغتسل مستعملة الصابون الذي استعمله ولا ريب منذ قليل وستجفف جسمها بمنشفته التي لاتزال ندية ولا ريب.

لم تستطع "ديانا" إتمام برنامجها: كان مضيفها قد اهتم بالإفطار. وبينما كان يشرب قهوته الثانية ظل في صحبة رفيقته بينما كانت تتناول إفطارها.

كانت المرأة الشابة تعرض مشهداً ممتعاً حقا بتلك البذلة الواسعة جداً بالنسبة لحجمها. كانت لا تكف عن التنازع مع الأكمام لتمنعها من الانغماس في فنجانها. كان وجهها يشع بالسرور في ذلك الصباح المضيء؛ ولعل السبب هو ما ينتظرها خلال اليوم، وبشكل أكثر تأكيداً بسبب الليلة التي تقاسماها معا.

مد سيد البيت ذراعه فوق الطاولة ليضعها على أصابع الشابة الناعمة:

- انت فاتنة ياسيدتي.. أنا أحب هيئتك البالغة الأنوثة.

سحبت المخاطبة يدها لتستر فتحة الصدر للبذلة وقالت:

- إنها مواتية ولكن دون نمط إنشائي. ماذا سنفعل اليوم؟ أنحلب الأبقار؟

- لا في الواقع إلا إذا كنا نحب تلقي ركلات بحوافرها. إن الأبقار التي تربى من أجل اللحوم لا تهتم بالحلب. سنذهب بالأحرى لمشاهدة

مظاهر الاحتفال بالعيد في الريف. أفترض أنك تحبين الصبغة الريفية.. أليس كذلك؟

- تود القول المربين المسنين وفي أفواههم مضغة التبغ ومباريات الخنازير والمربات المصنوعة في البيت؟ لا ريب أنه مشهد مدهش جدا بالنسبة لبنت من المدينة.

- بل أخص بالقول مباريات الثيران والسباق بين رعاة البقر. لقد شاركت فيها مرات ولا أدري إذا كان هذا المشهد يشد المتفرج لكنك إذا كنت بحاجة إلى مقوٍ فساقدم لك واحدا يؤخذ بالاستنشاق إذا فهمت ما أعنيه، من فم إلى فم إذا حددنا القول.

أخذ المضيف الأطباق الموضوعة أمامه وهو يبتسم . أما "ديانا" فقد اكتفت من جانبها بالاستحياء فاحمر وجهها.

* * *

كانت مجموعة مرحة قد جاءت للمشاركة في العيد. كان كل شيء معروضاً في الحجيرات من الأدوات والحيوانات بدءاً من البطانيات المشغولة يدويا وحتى الخنازير. علا صوت مألوف فوق الهرج والمرج ينادي:

- بابا، بابا!

أطبق المربي بالهواء على "كريس" الذي كان يقفز نحوه.

- كيف حالك ياولدي؟ كيف قضيت ليلتك؟

- على أفضل وجه يابابا. هل ستشترك في السباق؟

- بالطبع! أين "جيف"؟

أشار الصغير بأصبعه إلى عائلة "رينهارت" التي كانت تقترب.

- من هنا. نريد تفاحات بالكرميلة يابابا. هل يمكنك شراءها لنا.

توجه "بروك" إلى منصة الحلوى. أما "ديانا" فقد شعرت من جانبها للمرة الثانية بموجة من الدماء تتصاعد إلى وجهها أمام ابتسامة صديقتها المنتظرة. غمغمت التعسة عندما دفعتها صديقتها دفعة قوية:

www.liilas.com

- "جاكي"! حقا!

- أنا مسرورة لمجيئك ومسرورة أن...

انبثقت كتلة ضخمة تحت أنف "جاكي". سألها "بروك" ضاحكا:

- اتريدين تفاحة بالكرميلة يا أم الناس أجمعين؟

- هل تود الاشتراك في مباريات الثيران والسباق بين رعاة البقر يا "بروك"؟

- لقد وعدت "واين" بالاشتراك معه.

ترددت نظرة "جاكي" بلطف في اتجاه أصدقائها وقالت مفسرة لـ"ديانا":

- جارنا الذي أمامك يحتل المركز الأول في مباريات الثيران والسباق بين رعاة البقر. لقد ربح سرجاً العام الماضي.

نادى "بروك" ابنه "كريس":

- هيه، يا "كريس"! تعال ياولدي، سنسرج الجواد ماريشال.

لم يستغرق المشهد الذي جاءت "ديانا" لرؤيته أكثر من دقائق معدودات. كانت المقاعد المدرجة تحيط بالحلبة التي سيجري فيها السباق. ومن هناك شاهدت الشابة عجلاً طويل القرنين يخرق الحلبة بينما انطلق الفارسان "بروك" و"واين" يتبعانه. وبسرعة البرق انطلق حبل "واين" في السماء ثم هوى على قرني الحيوان.

تبعه "بروك" بحبله القوي الذي التف كالأفعى على القائمتين الخلفيتين فانهار الحيوان تحت صيحات استحسان الجمهور.

هتفت المتفرجة:

- مرحى! مرحى! أبوك بطل يا "كريس"!

- كنت واثقاً بأنه سيكسب! مرحى! مرحى! تعالي يا "ديانا" سنلحق بأبي.

قال لي أن أعتني بك.

- حقا؟

راحا معا المرأة الشابة الأنيقة والغلام الصغير ذو الشعر الرمادي

فهبطا المدرج يداً بيد.

- هل تحبين أبي يا "ديانا"؟

- حبا جما؟

رفع "كريس" رأسه فاحولّ بصره من الشمس وقال:

- وأنا كذلك أحبك حبا جما يا "ديانا". أحبك أكثر من "ريتا" و"جانيل".. هل يجعلك تأتين لرؤية ضفادعي لدي واحدة في وعاء زجاجي.

- عندما كنت صغيرة، كنت أصنع بيوتا لضفادعي. هل عملت ذلك؟

أحنى الطفل رأسه برصانة من اليمين إلى اليسار فقالت "ديانا":

- إن شئت عملنا ذلك ذات يوم معا.

ما كاد "كريس" يستقر في الشاحنة الصغيرة حتى غرق في نوم عميق فاسندت "ديانا" الرأس الصغير ذا الشعر الرمادي على كتفها وداعبت خصلة شعر فوق الجبين. ما كانت تدرك أن "بروك" يلاحظها معتقدة أنه منصرف إلى القيادة. لكن أبا الغلام لاحظ تلك الحركة. شعر بقلبه يشق بشكل لا يدرك سببه، قال ملاحظا بعد أن أعاد بصره إلى الطريق:

- إن الصغير متعب. إنه يحتاج إلى فترة راحة بعد الظهر. إنني افاجأ أحيانا بالتفكير فيه وكأنه رجل صغير في حين أنه لا يزال طفلا في الحقيقة.

تأملت المسافرة الوجه الناعم. باللسرعة التي يمر بها وقت الطفولة! كم يقصر هذا الوقت من سن التبعية المطلقة! مع ذلك، بالفظاعة ما قد يحدث خلال هذه المرحلة!

- انظري! يبدو أن هناك حريقا.

أدارت "ديانا" رأسها. كان خط النار يتحرك على البعد تحت دخان كثيف رمادي.

- عليّ أن أذهب إلى هناك يا "ديانا" فالأعشاب تبلغ درجة من الجفاف بحيث ستلتهب خلال وقت قصير جدا.

www.liilas.com

تحول السائق إلى طريق ثانوي وتوقف إلى جانب شاحنة صغيرة سوداء قريباً من الحقل الملتهب. وقرب الطريق كان رجلان يعملان على مكافحة الحريق بواسطة البطانيات. هتف "بروك":

- إنه "داريل"، جار. إن لديه جهاز إرسال في الشاحنة ولا ريب أنه استدعى النجدة. اسمعي يا "ديانا"، ستبقين مع "كريس" وسأذهب للمساعدة.

- ماذا ستفعل؟ ستحاول إطفاء النار بالبطانية؟ أنا أستطيع القيام بذلك أيضا؟

- صحيح. يبدو أن "كريس" مستغرق في النوم. تعالي.

انزلقت المرأة الشابة على جنبها ومددت الجسم الصغير الغافل على المقعد. سألت "بروك":

- ألا يوجد ماء هنا؟

أطلق "بروك" ضحكة ساخرة وقال:

- هذا حريق حقل أيتها المدنية الصغيرة. هل رأيت حنفيات حريق في الركن؟ لاحظي يمكننا دائماً أن نستخدم لعابنا لنبصق على الشعلات الملتهبة في انتظار وصول رجال المطافئ مع صهاريج الماء!

وبعد نظرة أخيرة على الغلام الصغير النائم، أخذت المرأة الشابة البطانية التي تغطي السرج والتي أعطاها لها زميلها ثم انطلقت تتبعه بخطى حثيثة.

الفصل السادس

أخذت النار تلتهم دون توقف كل ما في طريقها مدفوعة بريح الشرق. كيف كان أربعة أشخاص وحدهم قادرين على إطفائها؟

كل ما كان يمكنهم أن يأملوه هو إبطاء تقدمها. وفجأة لفت دوامة من الدخان "ديانا" وتغلغل الدخان في حنجرتها فثارت معدتها من الاشمئزاز.

كان "بروك" يناضل ضد النيران بالقرب منها دون أن يتمهل ولو ثانية واحدة. تصلبت المرأة الشابة لذكرى الليلة الماضية.

أدار صاحب القامة الطويلة رأسه إلى الشمال فلاحظ نظرة الإحباط التي تطلقها جارته فاقترب "بروك" من صديقته وهو يتابع ضرب الحشيش المحترق ببطانية. مسح بيده وجهها المغطى بالسواد وقال بصوت قوي:

- وصل أشخاص آخرون، يمكنك الانصراف.

- عيناي تحرقاني.

- أعرف. اصغي إلي يا "ديانا". عودي إلى العربة فقد يشعر "كريس"

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

بالخوف إذا استفاق. من الأفضل أن تلحقي به. مرّي من هنا، أترين؟

هناك مستنقع صغير مجفف، ستكونين في حمى من النار. انتبهي لا تتوغلي في الدخان.

سلكت المرأة الشابة الطريق التي حددها واجتازت حوض الصلصال المتشقق وانطلقت تعدو ونعلها المطاطي يقفز على الحشيش المتفحم. رأت بعينيها الملتهبتين ورئتيها اللتين اجتاحهما الدخان صفاً من السيارات يحدد الطريق.

كان سياج من الأسلاك الشائكة يقطع الطريق. وكان "بروك" في رحلة المجيء قد ساعدها على اجتيازها. أزاحت "ديانا" الأسلاك وتسللت بينها فتعلق بنطلونها في واحد منها.. تحررت بهزة واجتازت الخندق الذي يحد الطريق لتجد نفسها قرب العربة التي تحمل جهاز إرسال.. أدارت رأسها لاهثة إلى اليمين ثم إلى الشمال: لم تكن الشاحنة الصغيرة موجودة على الطريق. عادت تجري على طول صف السيارات ثم استدارت حول نفسها لتهبط إلى الجانب الآخر. لقد اختفت شاحنة "بروك" الصغيرة دون أدنى شك.

ما العمل؟ عادت تجتاز الخندق والسياج ثم الحقل وانطلقت تبحث عن ابي الصبي. لا ريب أن الدخان قد غطى وجهها. كان يذهب ثم يعود من جديد. استمرت رغم ذلك في التقدم فوجدت المستنقع المجفف الذي اجتازته في الذهاب.

- "بروك"! "بروك"!

عادت الريح اللافحة تجتاح حنجرتها فعادت تصيح وقلبها مضطرب وعيناها تملؤها الدموع:

- "بروك"! "بروك"!

- "ديانا"!

استقرت يدان على كتفيها فارتمت على صدر صديقها وهي تبكي وتسعل.

- "كريس"! لم أجد الشاحنة الصغيرة. لقد بحثت في كل مكان. لم

تعد هناك.

- لابد أن أحدهم قد غير مكانها، تعالي سنسأل.

تعقبت "ديانا" "بروك" وهو يقفز على طول خط النار. لاقى رجلاً فتوقف ليسأله عما إذا كان قد رأى شاحنة صغيرة زرقاء؟ ثم انطلق بعد أن جاء الجواب سلبا وكرر السؤال ثلاث مرات دون فائدة. وأخيراً لقي فلاحاً مسنا أعطاه المعلومة المنشودة. قال الرجل وهو يمسح جبينه بكم قميصه:

- كان الدخان يثير جوانك فكان يحدث جلبة شديدة في الناقلة فقدت شاحنتك إلى مقربة من سيارتي.

- و"كريس"؟

- ماذا تقول؟

- "كريس"! ابني كان نائماً على المقعد الأمامي. "فرنك"، هل...

- لم يكن هناك أحد في الشاحنة. لم يكن باب السائق فيه مقفلا.. لا ريب أنه...

شعرت "ديانا" بحلقها ينقبض. "لا هلع يا ابنتي لا هلع!" قال "بروك":

- لا ريب أنه جاء يبحث عني. "فرنك"، أخطر الآخرين. قل لهم إن طفلا تاه هنا. اسألهم أن يتنبهوا.

لم تعد النار الآن تهدد العشب فقط بل قادرة على قتل طفل. راح "بروك" و"ديانا" يركضان وهما يهتفان باسم الغلام ولقبه يطوفان يمينا وشمالاً باحثين عن مكان يمكن أن يكون "كريس" قد اختبأ فيه. لم يجب اي صوت على نداءاتهما ولم يظهر أي اثر للصبي تحت خطواتهما..

أرهق المربي فسحب رفيقته إلى الشاحنة السوداء:

- سوف أخطر الشركة بجهاز الإرسال هذا.

أطبق "بروك" على مقبض الباب وحركه مرتين دون جدوى فاغتاظ وضرب بقبضته حاجز السيارة:

- أيها الأحمق!

ومن جديد ضرب الغطاء بقبضته:

www.liilas.com

- أيها الغبي! في أي شيء كنت أفكر وأنا أدعه وحده! أنا أحمق!

هز الباب العتيق هزة عنيفة فاستطاع فتحه فاندفع إلى الداخل ليصل إلى جهاز الإرسال والاستقبال.

مرت سيارة فرفعت السيدة الشابة يدها تستوقفها. كلا، لم تر السائقة أي طفل. لا شك أنها ستساهم في البحث بطيب خاطر.

قفزت "ديانا" على المقعد وراحت المرأتان معاً تصعدان وتهبطان على طول الطريق وعيونهما ترصد. لم تكتشفا مع ذلك أي أثر لـ"كريس".

عادت السائقة إلى نقطة انطلاقها وأنزلت رفيقة الرحلة قرب الشاحنة الصغيرة السوداء. كان "بروك" قد غادر المكان. وبعد أن قدمت "ديانا" عبارات شكر على عجل انطلقت راكضة لتلحق به.

كانت سيارات صهريج تسهم الآن في المعركة ضد النار. وكان رجال يركضون هنا وهناك على مختلف أبعاد الأرض على أمل أن يجدوا أثراً للصبي الصغير.

تابع "بروك" بحثه بطريقة منسقة وكان ظاهره يدل على أنه محتفظ بكامل هدوئه. ترى ماذا كان يعتلج في أعماق نفسه؟

كان إلى يسار "ديانا" تل مرتفع. ألا يمكن أن تكتشف شيئاً من القمة؟ كان سفح التل الذي ظل حتى ذلك الحين منحجباً عن عينيها قد تكشف أمام المرأة الشابة. لم تجد النيران شيئاً تحرقه فوق ذلك المنحدر المكون من الصلصال والصخور.. لكن شيئاً آخر كان موجوداً هناك: خف كرة مضرب صغير. صاحت:

- "بروك"! "بروك"! من هنا!

سمع المربي الصيحة فقفز على سفح التل بسرعة البرق.

- انظر! هنا!

اندفع "بروك" نحو الخف القماشي والسيدة الشابة تتبع خطاه. رأت أبا الطفل ينحني فوق شكل صغير تخفيه صخرة.

اقتربت متراً ثم متراً ثانياً. انحنى الرأس الرمادي أمامها واستقام ثم انحنى ثانية...

انطلقت صرخة ثاقبة وراء المربي تمزق الهواء فادار رأسه بحركة غريزية. كانت السيدة الشابة تطبق يديها على فمها وكان تلك الحركة كافية لموقف الزمجرة، وفي عينيها الوميض نفسه الذي لاحظه "بروك" في اليوم الأول الذي تعرف فيه عليها، ذلك الوميض الأليم المجنون القانط!

امسك المربي ولده بين ذراعيه وراح يتمتم له بكلمات لطيفة لتهدئته. كان الطفل يبدو كالميت والسواد يغطيه. حينئذ أطلق أحدهم أنة حيوان جريح. لم تكن الأنة صادرة عن "كريس" بل عن "ديانا".

استقام "بروك" وهو يحمل ابنه كأنه طفل واقترب من صديقته. كانت تقف جامدة متجمدة وعيناها الكبيرتان المفتوحتان مفعمتان بذعر مجنون. قال بصوت رصين:

- اظن... لا يبدو أنه مصاب بجرح خطير.

ورغم يديها الموضوعتين على فمها وأظافرها المنغرزة في وجنتيها أطلقت البائسة أنة جديدة.

- "ديانا"، قلت لك منذ حين أن... يجب ألا تتسببي في إخافة "كريس". تعالي سنحمله إلى المستشفى.

- بابا...

بينت السيدة الشابة بحركة من جفنيها أنها سمعت صوت الصغير.

- بابا، أشعر بوخز في حلقي.

- سنذهب لنجد لك علاجاً يشفيك يابني.

- ما كنت أعرف أين كنتما... لقد بحثت عنكما.

- لا تنزعج.. كل شيء على ما يرام الآن.

توجه المربي إلى الطريق وابنه بين ذراعيه وكان من حين إلى آخر يتأكد من أن رفيقته تتبعه رغم البلادة التي كانت غارقة فيها.

اندفعت "جاكي" خارج عربتها عندما رأت الثلاثة الذين يغطيهم السواد يصلون إلى حيث رأتهم.

www.liilas.com

- "بروك": هل "كريس" على ما يرام؟ لقد وصلت الآن. قالوا لي...

اعتقد أنه سليم لكنني عازم على أخذه إلى "بسمارك" حيث المستشفى. هل يمكنك الالتزام بإيقاف البحث؟

خففت سيارة الشرطة سرعتها عند المجموعة الصغيرة وسأل السائق:

- هل كل شيء على ما يرام؟

لست أدري. سأعرضه على طبيب.

- اصعدوا. سنأخذكم إلى هناك.

فتح "بروك" باب السيارة وقال:

- هل تأتين معنا يا "ديانا"؟

ظلت عيناها تحدقان في الغلام وبدت السيدة الشابة كأنها لم تسمع.

الح المربي قائلاً:

- أتسمعينني يا "ديانا"؟

ولما لم يتلق جوابا سأل "جاكي" بعينيه فتدخلت هذه قائلة:

- سأحملها إلى البيت. امض أنت. امض أنت، سأعتني بها.

ومدت عنقها نحو الفتى "كريس" وأضافت:

- ستركب سيارة الشرطة يا "كريس". أنت على جانب من الحظ إن كنت تدري.

خفتت صوتها ووجهت الكلام إلى جارها قائلة:

- أطلعنا على ما يكون يا "بروك".

وافق أبو الطفل وأغلق باب السيارة.

اتصل "بروك" بـ"جاكي" خلال الأمسية. سيبقى "كريس" في المستشفى أما هو، "بروك"، فسينام في غرفته. كلا، لا شيء يدعو للقلق. لا يعتقد الطبيب أن استنشاق الدخان سيحدث آثاراً خطيرة. كانت الإصابة بالتهاب الرئة ممكنة مع ذلك. لذا تقرر إبقاء الصبي تحت المراقبة بضعة أيام. وعندما انتهى من ذكر معلوماته سأل المربي:

- وهل تحسن وضع "ديانا"؟ كانت شديدة الاهتزاز منذ حين.

- كانت منهوكة جداً. اغتسلت واستلقت على السرير. لم تنطق بكلمة. ولكن يا "بروك"... هل حدثتك "ديانا" عن طفلها.

- عن... طفلها؟

- أرى أنها لم تطلعك على ذلك ما كان عليّ أن...

"ديانا" لها ولد!

- كان لها طفل. لقد مات فجأة. أنت تعلم... مرض طفولي مريع. هذا حدث قبل عامين من وقتنا الحالي.

- لكن... لكن... لم تذكر لي شيئاً قط.

- ولي كذلك. لم تحدثني بذلك حقا. اعتقد أنها ستذهب لرؤية "كريس" في المستشفى. إنها بحاجة إلى ذلك. أظن...

نعم كانت "ديانا" بحاجة إلى معرفة أن الغلام في حالة جيدة. لن تتبدد أفكارها الحزينة إلا عندما تطرد هاتين الكلمتين المرعبتين: طفل وموت.

كان يجب أن يكون هناك قانون: لا يمكن لأحد أن يموت قبل سن العشرين، لا طفل ولا وليد.

أرهفت المحامية السمع متابعة صوت عقبين يقرعان بلاط الأرض. كانت الخطوات تعطي صوتا رتيباً حازما. هناك غيرها من يجتاز ممشى المستشفى الطويل. شخص آخر يتقدم ويبحث على الأبواب عن رقم ثلاثة وعشرين.

فتحت باب الغرفة فرأت "بروك" يغسل وجهه فوق حوض فسمع صوت انثى يدمدم بانه بحاجة إلى النوم لا إلى حمام جديد.

رفع المربي عينيه وابتسم باتجاه الزائرة. عندئذ شعرت هذه بقلبها يستريح.

قال وهو يتوجه نحوها للقائها وليضمها بين ذراعيه.

- سرني قدومك.

- كيف حال "كريس"؟

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

- لايزال يكح ويشعر بألم دائم في صدره. وفيما عدا ذلك، كل شيء على مايرام.

تعالي سلمي عليه. إن أمي هنا. قاد صديقته إلى الحجرة وقال:

- ماما، أقدم لك "ديانا بيترز". "ديانا" هذه أمي.

شدت على يد المرأة الشابة سيدة طريفة شعرها رمادي فضي فاتح اللون وعيناها كالشوكولاتة السائلة على غرار عيني "بروك" ووجهت لها ابتسامة مرحبة. غمرتها بنظرة فيها بريق خاص لأم تكتشف المرأة التي يهتم بها ابنها.

- إنني مسرورة بمعرفتك يا "ديانا". لعلك تقنعين ابني بأن عليه أن يذهب لتناول بعض الطعام.

انطلق صوت حاد رقيق يقول:

- هيه يا "ديانا"! ألا تسلمين علي؟

اقتربت المحامية من السرير وأخرجت من محفظتها ضفدعة صغيرة من القماش المشغول.

- انظر يا "كريس". لقد جئتك بهدية. هل تحبها؟

علا صوت من وراء ظهرها، صوت "بروك" العميق يقول:

- أماه، سنذهب لتناول الطعام أنت وأنا بينما تثرثر "ديانا" مع "كريس".

- "بروك"! لم تأت صديقتك لحراسة الولد!

- لقد جاءت صديقتي لرؤية "كريس". أليس كذلك يا "ديانا"؟

- بالقطع. إننا - "كريس" - وأنا سنتكلم في الأعمال بخصوص الضفادع.

ذهب الأب مع الجدة وظلت السيدة الشابة فترة تتأمل الغلام. كان يكح بين حين وحين. لا ريب أن الدخان لا يزال في صدره. هذا ما شرحته للصغير، وأن الرئتين تحاولان طرده بهذه الطريقة.

أضافت "ديانا" قائلة:

- علمت أن رجال الإطفاء قد وفقوا في إطفاء النار ولم يكن هناك أي

مصاب باستثنائك أنت.

- كنت خبيثاً.. أليس كذلك؟ كان عليّ أن أبقى في الشاحنة الصغيرة.

- أهو أبوك الذي قال إنك كنت خبيثاً؟

- مطلقاً. لكنني سمعته يتكلم إلى جدتي. ليس راضيا عن نفسه لأنه تركني وحيداً ولانني ذهبت قرب الحريق. لكنها ليست خطيئته. الذنب ذنبي.

- أنت على حق. ما كان أبوك يتوقع أن تستيقظ.

- لا أريد أن يفكر أبي بأنني كنت خبيثاً.

- إذن عليك أن تقول له ذلك.

هزت كحة خفيفة جسم الصبي الصغير.

- هل أنت متألم؟ أتريد أن أحكي لك حكاية لتقطع الوقت؟

استقر المصاب الصغير تحت أغطية السرير البيضاء وعيناه مفعمتان بحزن يختص بالتأثير في قلب زائرته وقال:

- نعم، أحب ذلك على ما أعتقد.

انطلقت "ديانا" الجالسة إلى جانب الجسد الصغير المتمدد تروي قصة "الأمير الذي تحول إلى ضفدع" لتستغرق بعد ذلك في غناء اناشيد طفولية كانت تحبها حبا جما في سنواتها الأولى. انتهى الأمر بأن استغرق الصبي في النوم متأثرا بصوت الراوية الحنون. صمتت السيدة الشابة وعندئذ ناداها بعضهم من على عتبة الغرفة قائلا:

- يالذاكرتك الجيدة!

فوجئت فأدارت رأسها. أرسل لها "بروك" المستند على دعامة الباب ابتسامة فاتنة:

- أكنت تصغي إليّ منذ وقت طويل؟

- طيلة دقائق كثيرة. كنت مغرما بهذه الأناشيد أنا الآخر عندما كنت طفلا. كنت أقيم أحيانا في سلة الغسيل التي تستعملها أمي وأعيد تلاوتها وأنا أتصور أنني على متن سفينة. لاريب أنك كنت حينذاك على ساحل المحيط تبنين قصورا من الرمال.

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

– وكنا كلانا نكره النوم في الصيف مادام النهار مشرقا.. لقد نام "كريس".. أرأيت؟

استقام المربي وأطبق الباب واجتاز الخطوات القليلة التي تفصله عن الزائرة. وبتنهيدة عميقة أخذها بين ذراعيه وكأنها وحدها القادرة على تخفيف حدة تلك الليلة الساهرة:

– اعلمي أنني أفكر أحيانا بأنني تعاملت معه بشكل سيئ جدا. كان علي أن أكون حذرا البارحة.

– لا يمكنك توقع كل الأخطار يا "بروك".

– عندما يرى المرء سورا من النار فإن من البلاهة ترك غلام صغير وحده حتى لو كان نائما.

– "كريس" يعرف أنك تشعر بأنك مخطئ، لكنه يشعر بأنه مذنب هو الآخر. الندم لا ينجم عنه شيء. لم تكن خطيئة أي واحد في الحقيقة.

انحنى "بروك" إلى الوراء ليغمس عينيه في عيني رفيقته:

– لم أتعرف قط على واحدة مثلك يا "ديانا" وهذا حقيقة. لم تستطع امرأة قبلك أن تكون متوافقة معي لهذه الدرجة.

– مع ذلك، فإن امرأة غير متوافقة معك وهبتك غلاما كامل التوافق معك.

– هذا صحيح.

– تبدو متعبا يا "بروك". لم تنم طيلة الليل.. أليس كذلك؟

– كنت عاجزا عن إيجاد النوم لكنني اغتسلت وحلقت ذقني. كما أنني بدلت ثيابي بفضل الثياب التي جاءتني أمي بها. فأنا جاهز تماما للمثول في مشهد رقة صغير.

خفض "بروك" رأسه وطبع قبلة ترحيب خفيفة على شفتي رفيقته. وقبلة ثانية أكثر رقة وتأثيرا تبعت الأولى لتجعلها تدرك كل ما يريدها أن تفهمه. فردت "ديانا" بمثلها من أعمق أعماق قلبها ثم انفصلا أسفين. سألته المحامية بابتسامة رقيقة:

– هل تلقيت ما يكفي من الرقة لهذا اليوم؟

– كلا بكل تأكيد. أنت تداويني يا عزيزتي. سأكون بحاجة إلى حقنة جديدة بعد ساعة. لكن تعالي واجلسي فلدي ما أقوله لك.

قدم المربي مقعدا لصديقته. ظل فترة طويلة يتاملها وهو جالس على مقعد آخر بنظرة عنيفة مفعمة رغم ذلك بنعومة متناهية.

– اسمعي يا "ديانا". إذا كنت أغامر في أرض ممنوعة فما عليك إلا أن تقولي ذلك وسأرحل. أتفهمينني؟

لم تجب المرأة الشابة على الفور بسبب جزعها. ترى عن أي شيء كان "بروك" ينوي أن يتكلم؟ لماذا هذا الوجه المتوتر وهذا الصوت الرصين؟ تنهدت آخر الأمر وقالت:

– استمر، أنا مصغية لما تقول.

استأنف "بروك" وعيناه مثبتتان على محدثته:

– بالأمس، عندما وجدنا "كريس"، رأيت رعبا في نظرتك. لم أر قط من قبل مثل هذا الخوف.. باستثناء مرة محتملة وهي يوم أن لقيتك عندما كنت... عندما كاد "كريس" أن يصبح تحت سيارتك.

– كان هناك ما يدعو إلى الجزع على ما أعتقد!

– صحيح. ولكن لهذه الدرجة أقول لك لم أر ذلك أبدا. فلماذا؟

انتظر "بروك" الرد. لم تفتح "ديانا" فمها وهي مسدلة العينين كطفل مذنب.

– حدثيني عن طفلك يا عزيزتي. قالت لي "جاكي" كل شيء.

ارتفعت عينا السيدة الشابة نحو محدثها ثم تنهدت واستندت على ظهر مقعدها وتنهدت بعمق.

– أنت تعرف إذن أن "روبي" مات. هذا كل شيء. كان هناك مولود في تمام الصحة طيلة ستة أشهر ثم وجُد ذات يوم.. لا يتنفس. هذا كل شيء وليس هناك ما يضاف.

شعرت "ديانا" بيدين دافئتين تستقران علي يديها فادارت رأسها لتخفي دموعها التي اغرورقت بها عيناها.

– أنت التي رأيته؟

www.liilas.com

دخلت غرفته أولا وكان "دوج" خلفي. حاول إعادة التنفس إليه بطريقة التنفس الصناعي "فما على فم" بينما كنت أستدعي الطبيب. عاد التنفس إلى "روبي" لكنه لم يسترد الوعي. وبعد خمس ساعات.. في المستشفى..

شخصت عيناه إلى عيني محدثته بينما استمرت التعسة تقول:

- عندما رأيتك تنحني على "كريس" بالأمس ظننت أنك تقوم بعملية "فم إلى فم" وأنه لم يكن يتنفس. عندئذ فقدت عقلي فلم أشعر بالزمان والمكان بل عدت إلى الوراء إلى ذلك اليوم مع طفلي الصغير.

أغمضت عينيها وهي منهوكة. أخذت دموعها تذرف بغزارة. مسح "بروك" بسبابته بشرة الوجنة الناعمة بحركة مفعمة بالرافة.

رفعت "ديانا" جفنيها فرأت رفيقها ينقل أصبعه الذي مازال ندبا إلى شفتيها. حاولت أن تبتسم وهي مبلبلة لكن النحيب منعها.

شدها "بروك" فوق ركبتيه وراح يهزها وكأنه يهدئ طفلا. بكت طويلا وهي مركونة بين ذراعيه وقلبه إلى جانب قلبها. ولما هدأت جففت الخيوط الرطبة على خديها ولفت شعرها ومسحت أجفانها وشفتيها وكأن قبلاته قادرة على تخفيف ألمها. اعترفت:

- شعرت بأنني مذنبة طيلة وقت طويل. كنت ألوم نفسي لعدم إعطاء "روبي" مزيدا من الرعاية وعدم القيام بإرضاعه وانصرافي إلى عملي. كان "دوج" يعتقد دائما أنني ارتكبت خطيئة. كان زواجنا مهتزا من قبل فانفصل في تلك اللحظة تماما. اضطررت إلى استعمال المهدئات. كنت أعتقد أن كل شيء قد انتهى الآن لكنني ماعدت واثقة بذلك الآن.

- تتوقين إلى طفلك يا "ديانا".

- هذا صحيح. كنت تواقة إلى أن أكون حاملة طفلي بين ذراعي.

صمتت السيدة الشابة فلم يلح "بروك". لقد رضيت صديقته التحدث عن طفلها، لقد كشفت عن نفسها. إنها إنسان بكل معاناتها. هذا ما

يستحق احتسابه.

* * *

- ليس هناك أي سوء في أن تعشقي "بروك" يا "ديانا". إنه رجل طيب وأنا متأكدة من ذلك.

- لم أحدثك عن الغرام. لاحظي أنني أعتبره شديد الجاذبية.

- جذاب! أرجوك ألا تستعملي هذه الصفة المستعملة دون تمييز.

أصلحت "جاكي" قميصا على الخط الذي تريد كيه عليه بحركة سريعة وقالت:

- أنا أعرفك منذ زمن طويل يا عجوزتي. أنت متعقلة جدا وهذه هي المشكلة: لم تجعلي قلبك يتكلم قط.

- حتى مع "دوج"؟

- مع "دوج" أقل مما مع غيره. كنت غاضبة لزواجك منه. كنت واثقة بأن زواجك لن يدوم طويلا. لكن الأمر مختلف مع "بروك". أود أن أقول لك إنكما عندما تكونان معا أشعر بأنني أسمع صوت الصنوج وقرع الطبول يعلو في الغابة.

ما استطاعت "ديانا" أن تمتنع عن الضحك.

- لقد برهنت دائما يا مسكينتي "جاكي" على أنك فتاة رومانسية.

- ماذا ستفعلين؟

- تعرفين أنني في الماضي كنت أظن أن السعادة تبنى وأنني ساحصل عليها إذا أحسنت التخطيط في هذا الصدد. وأنت ترين أين أنا الآن!.

- وددت أن أسمع جوابك عن سؤالي يا "ديانا": ماذا ستفعلين؟

طوت "ديانا" القميص لتضيفه إلى أعلى خط الكي. وقالت:

- سأذهب على الفور لرؤية "بروك" لأتأكد من أن "كريس" قد شفي، ومن هذه النقطة أقول إن صديقتك في الدراسة سعيدة لأنه ليس لديها أي برنامج لما يتبع.

www.liilas.com

الفصل السابع

- "ديانا"، انظري إلى مالدّي.

أقفلت القادمة باب السيارة واستقرت على درجات السلم. كانت باحذية الرياضة التي تنتعلها وبنطلون الجينز تبدو كغلام جاء يلعب مع رفيق صغير.

- ماذا لديك؟

- ضفادع!

انغمس ذراع سمين في قمقم وأخرج حيوانا رمادي اللون. سال صوت حاد يقول:

- هل يمكن بناء بيت له؟

- بالتأكيد.

أمسكت "ديانا" الضفدع بيدها وهي تتذكر الوقت الذي لم تكن تخشى فيه ملامسة هذا الشيء اللزج.

- انظري. معي واحد آخر. إنهما أخوان.

- وما يدريك؟

- إنهما متشابهان باستثناء أن احدهما أكبر من الآخر. ألا ترين؟ لو كان لي أخ لكان أصغر حجما مني. كنت تواقا للحصول على أخ أتعرفين بل حتى أخت.

- وهل تحدثت بذلك إلى أبيك؟

- بالتأكيد. قال إنني قد أحصل على واحد ذات يوم.

أقيم قصر الضفادع الأول فوق كومة من الرمال وراء البيت يغطيه سقف من سيقان القصب. وكان الصديقان يعملان على إقامة جدران المسكن الثاني عندما رن صوت وراءهما.

- أانت بخير يا "ديانا"؟ لم أسمع صوت عربتك.

- لقد جاءت "ديانا" تعلمني كيف أقيم بيوتا للضفادع. انظر يا أبي. كم هي جميلة.

قرفص المربي ليتفحص عمل البنائين ثم رفع رأسه نحو المهندس الأول وابتسم وهو يرى علامات الرضا على وجهه.

- "كريس"، إن صديقتنا تعرف حقا كيف تهتم بالضفادع، ألا ترى؟ أتعرف أن السيدات عادة لا يحببن كثيرا هذا النوع من الحيوانات؟

درج "بروك" باصبع مشاكس فوق أصابع قدم جارته العارية وأضاف مازحا:

- لكن هذه السيدة أميرة حقيقية. إنها تتمتع بكل الشجاعة. وبالمناسبة يا "ديانا"، "كريس" وأنا لدينا مشروع نود أن نكلمك عنه.

- ماذا؟

- مخيم. ننوي قضاء ليلة تحت خيمة ونحب أن ترافقينا. هل تحبين الصيد بالصنارة؟

- لا مطلقا.

- حسنا

- ولكننا يا أبي نعشق الصيد!

تابع "بروك" دون أن يعير اهتماما للمقاطعة:

- هل تنقلت من قبل في جولات على الاقدام وعلى ظهرك كيس؟

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

- هل قمت بها أنت من قبل؟

- مطلقا. ماذا تريدين؟ أنا أحاول أن أثير اهتمامك كما أستطيع. لا أستطيع أن أمنحك رحلة بحرية على سفينة ذات شراع أو مشهدا في برودواي.

- مع ذلك، أنا مدينة لك برحلة فوق جرار وبرحلة ثانية إلى عيد ريفي بالإضافة إلى اللهو فوق أكداس الحشيش. متى تنوي إذن القيام بهذه الرحلة عبر الصحراء؟

- حالما تعطيني موافقتك.

- هل أنت واثق بأن "كريس" قد استعاد قواه تماما؟

- أكد لي الطبيب ذلك. وبالمقابل هو يظن أنه قد يصاب بنكسة إذا رفضت المجيء معنا.

خفضت "ديانا" نظرتها على الغلام الصغير:

- لا يبخل أبوك بمجاملاته لي يا "كريس".

ثم رفعت رأسها وأضافت:

- وهكذا تود الذهاب لتعسكر؟

أكد المربي بحركة من ذقنه:

- في خيمتين؟

- يمكنني ترتيب ذلك.

- لا ريب أن على المرأة أن يكون لها مسكن خاص وأنت تعرف. وعليه أوافق.

قدمت أسرة "رينهارت" مساهمتها في الرحلة: خيمة ومراتب إسفنجية وأكياس متاع النوم إضافة إلى طفلين. انطلقت المجموعة الصغيرة إلى غزو القطر وهي جيدة التجهيز.

جاء فريق الصيد بنجاح واضح. فالمجموعة، باستثناء "ديانا"، كانت مؤلفة من صيادين متخصصين. فما كاد الأولاد يصلون إلى حافة النهر حتى سادهم الابتهاج في حين غرز "بروك" قصبة صيده في الأرض بإحساس بدور القيادة وراح يشرح لملازمه الأول مبادئ هذه الرياضة

الجديدة بالنسبة له. وبعد أن علّمه كيف يلقي خيط صنارته راح الأستاذ يلقي بيان المرحلة الثانية من الدرس: كيف يثبت الطعم في الصنارة.

- ماذا! تريدني أن أعلق واحدة من هذه الأسماك!

- "فيرون". هذه الأسماك تسمى "فيرون" وعلى الصياد أن يلم بكل ما عليه أن يعمله.

- لم أزعم قط أنني كنت صيادة! على أي حال لم أستطع أن أكون. ألا تدرك؟ إنها حية!

عقدت "ديانا" ذراعيها على صدرها متحدية المعلم فتفهم هذا شعورها فلم يلح. غمغم وهو يخرج مخلوقة من سطل كانت فيه:

- أحياء هي الأخرى التي نحاول صيدها بطعمنا!

- هذا أمر مختلف. إذا أرادت سمكة أن تعض الطعم مختارة فهذا شأنها فهي التي أوقعت نفسها.

- يا للمنطق الأنثوي! هانذا قد علقت الطعم. لنر إذا كنت ستلقين بخيطك. مرحى!

- أتعتقد أنني أحسنت الإلقاء؟

- على أفضل وجه. بقي أن نعرف إذ كانت هناك سمكة سانجة في هذا الركن.

ورغم أنها مبتدئة فإن الصيادة تمكنت من الإمساك بثلاث سمكات خلال ساعتين إحداهما من نوع الشبوط. تهللت وأعلنت أنها ستقوم بإعدادها بنفسها.

لم يحدث للمدنية من قبل أن عسكرت. وأن تقوم بقلي السمك على نار من الخشب. بدا لها أسهل مما كانت تتصور. كم كان الهواء يعطر حلاوة المساء! كم هو مثير ألا يكون المرء تابعا لغير ذاته! حتى القهوة كان لها طعم خاص، طعم خارجي بالغ اللذة.

ذهب الأولاد يلعبون في أضواء المساء الأخيرة فاقترب المربي من

(٦)

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

رفيقته. سألها:

- هل ستسمحين لنفسك بالقيام بسهرة قرب النار يا فراشة الليل الجميلة؟

- فراشة الليل؟ أهي كلمة لطيفة في هذا البلد؟

رنت ضحكة خفيفة في الجو الهادئ. تنهد "بروك" قائلا:

- لست أدري السبب. كنت أفكر في شرنقة، شرنقة جميلة من الحرير تاوي كلينا. سيحين وقت نوم الأولاد بعد قليل وستكون النار لنا وحدنا.

- أتأمل أن أكون منجذبة بنيرانك؟

- أعتمد على ذلك. سينامون معا في خيمة واحدة ويمكنني اللحاق بهم بعد ذلك.

- عندما أكون قد فقدت صوابي وألقيت بنفسي في النار؟

- صورة جيدة لمشروع إغراء.

عندما غسلت الوجوه الصغيرة والأيدي الملطخة ونظفت الأسنان، نفخت المراتب الهوائية وأقام البالغون الصغار عليها لقضاء الليل. وبعد عشرين دقيقة على إغلاق باب الخيمة عليهم عم السكون على خباء الرواد الصغار.

بات الهواء منعشا مع الليل والنجوم تتأرجح في القبة السماوية وأوراق الأشجار تتأرجح مع النسيم فتضيف سكونا لا يقطعه سوى فرقعة نار الأخشاب. كانت جالسة فوق لحاف وراس صديقها فوق ركبتيها وهي تنظر وقتا طويلا إلى صور حلم تتراقص في اللهب.

- "ديانا"، ماذا كنت ستفعلين الآن لو كنت في "رود أيسلند"؟

- كنت ساقرأ وانا في سريري.

- ملفات وكتب قانونية؟

- هذا ممكن.

ارتفع المربي على مرفقه وشد الرأس الوضاء على اللحاف.

- أخشى أن تعودي ذات يوم. ستجدين من جديد مصنفاتك العزيزة.

كم من الوقت ستبقين هنا يا فراشة الليل؟ كم بقي من الوقت قبل ذهابك؟

لم يسمع اي جواب. ولم يكن "بروك" ينتظر الجواب. تنهد وأطبق بشفتيه على شفتي صاحبته فاعترضت قائلة:

- قد يستفيق ...

- يستفيق، أعلم ذلك. علي كذلك أن أطفئ النار لأن إبقاءها مشتعلة أمر ذو خطورة.

قام واقفا وغطى بالماء الجمر الصافر.

- انظري الآن إلى السماء.

رفعت "ديانا" رأسها. كانت النجوم اللامعة تومض في الليل الداكن وكانها تكاد تلمسها.

تمتمت:

- يقال إن أحداً قد صقلها بحيث جعلها تلمع.

- إنها على هذا الشكل دائما على البحر. وعندما كنت اشعر بالحنين إلى البلد كنت أنظر إلى النجوم وأصغي للريح.

- أتدري أنني أجد هذا المكان مؤثرا جدا. يشعر المرء انه يملك قدرة خاصة توجب الخضوع له، ففي المدينة يميل المرء إلى الاعتقاد بأن الإنسان قادر على السيطرة على كل شيء.

- عندما يعمل الإنسان في الأرض يدرك بسرعة أن أشياء كثيرة لا يمكن السيطرة عليها، وأن على الرجل أن يتقبل ما تمنحه الطبيعة سواء أكان جيدا أم سيئا.

أخذ المربي بيد رفيقته وساعدها على النهوض. لف كل منهما الآخر برقة بذراعه وتوجها نحو الخيمة الصغيرة. استلقت "ديانا" على الفراش المطاطي ذي المكانين وسمعت صوت إغلاق المدخل الذي كان رفيقها يقوم به.

- "بروك"، نحن نتصرف كالأولاد الطائشين. ليس من التعقل أن...

- حسنا ليكن. لنقبل ما تهبه الطبيعة لنا يا عزيزتي.

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

وبيد بطيئة الحركة فتح القميص زراً وراء زر وخلع قميصه وساعد رفيقته على محاكاته وخلال الكلام بدت انحناءات صدريهما.

تمتمت "ديانا":

- أشعر بالبرد.

- هذا خير لأنك ستقدرينني بشكل أفضل.

وهكذا تقاسما ما وهبته الطبيعة لهما. وفي تلك الليلة اكتشفت "ديانا" محيطا من الأحاسيس الجديدة واللذات التي لم تتذوقها حتى ذلك الحين. وعندما انفصلا آخر الأمر خبأ "بروك" جسديهما في شرنقة كيس المرقد. تمتمت المرأة الشابة :

- لماذا أشعر أنني في غاية الارتياح يا "بروك"؟ ما كنت أعرف أن.. ماكنت أتصور..

- لقد خضعنا للطبيعة ياعزيزتي. لقد أحببنا ما أعطته لنا.

- في المرة الأخيرة قلت لك: إنني أخاف رغباتي والآن أخاف مما أشعر به.

انتظرت "ديانا" أن يسألها رفيقها تفسيرا. لكن أي سؤال لم يصدر. عندئذ اعترفت متمتمة:

- "بروك"، أنا أحبك.

أضاء القمر الخيمة من خلال النافذة الصغيرة التي تحميها ستارة من النايلون. لبس الرجل ثيابه وانتعل حذاءه. وخلال لحظة حدق في الوجه الجميل لجارته النائمة ثم شد كيس النوم على الكتفين الرقيقتين.

هكذا آخر الأمر دخلت المرأة المناسبة له في حياته، امرأة ستحبه هو "بروك"، امرأة ستحب كذلك ابنه. نعم لا شك في ذلك. كان يجب أن تكون "ديانا" أم الولد.

كانا يجدان نفسيهما على خير ما يرام معا! وكان يحبها حبا جما! سوف يختارها زوجة إن استطاع. لسوء الحظ لم يكن له الحق كذلك بجرح قلب رفيقته البالغ الرقة. لقد تألمت كثيرا بما هي عليه.

قبّل "بروك" الرأس الأشقر بلطف وهو ينتهد وخرج من الخيمة متوجها إلى خيمة الأولاد.

* * *

- اسمعي يا "ديانا"، الأمر يتعلق بمربي الأبقار بل بمربي يقوم بعمله بقوة. فإذا قال: إنه لا يستطيع الخروج من مزرعته الكبيرة فإن له أسبابا معقولة جدا.

دفعت جاكي خادم المتجر الكبير متوجهة إلى فرع الفواكه والخضراوات المحفوظة ووراءها صديقتها. تنهدت "ديانا" وهي تقول:

- لا ريب أنني لن أخلق مأساة بسبب رفض "بروك" دعوتك للعشاء. لا ريب أنه غارق في المشاغل.

رغم كل شيء، كان رفض الجار يبدو أكثر من مدين. لم تكن "ديانا" مخدوعة بالعواطف التي تكنها له. فلماذا يستبعدها الآن؟ لماذا لا يعطي أي إشارة إلى وجوده؟ وهي التي تصرفت تصرف يافعة صغيرة في أول قصة غرام. نعم، من المؤكد أن من الأفضل أن تعود إلى بيتها.

استعيض عن عشاء آل "رينهارت" بامسية خارج البيت رغم أن "ديانا" ما كانت تتقبل الخروج. كانت جماعة كثيفة من الناس متراكمة هناك في مشرب "الشمس" عندما وصل الأصدقاء الثلاثة حتى إن "جيم" لاقى صعوبة في إيجاد طاولة غير مشغولة. وما كاد يجلس حتى أعلن بعد أن تلفت حوله:

- المكان يعج بالناس حتى ليستحيل أن يتنفس الإنسان. ما رأيكم في الذهاب إلى مكان آخر؟

تفحصت "ديانا" الموجودين بدورها: كان "بروك" جالسا على مبعدة يتحدث إلى مجموعة من الرفاق المرحين. قالت مؤكدة:

- يمكن للمرء ملاحظة مشاهد مثيرة جدا هنا.

اعترضت جاكي قائلة:

- "ديانا" لا يمكنك أن تحقدي على جارنا. أنا أعرف الذين معه. إنه يتدرب معهم على رمي الأنشوطة، والنساء اللواتي معهم هن زوجاتهم.

www.liilas.com

- لا أهمية لما يكون الحال، أؤكد لك.

كان صوت "ديانا" على طبقة أعلى من المألوف ولا ريب أن الموسيقى القوية كانت السبب. كانت تهم بالاسترسال بجملة من طراز "أعمال بروك لا تهم سواه" عندما دخل موضوع قلقها في دائرة الرؤية فضاق حلقها ولزمت الصمت.

ولما انتهت فترة المفاجأة الأولى اقترب المربي من طاولة آل "رينهارت":

- أنا مسرور برؤيتك يا "ديانا"، ما كنت أعرف أنك..

أدارت السيدة الشابة رأسها وهي عاجزة عن النطق ولو بكلمة. هيا! لن تظهر بمظهر مثير للسخرية! كانت في طريقها إلى التحكم في موجة الدماء التي شعرت بتصاعدها إلى وجهها! ولا ريب أن "بروك" أدرك حالة جارته الفكرية فانصرف. وبعد دقيقتين وقعت عين "ديانا" على المربي يرقص مع "ريتا هاتش" على الحلقة، المرأة التي شتمته في مشرب "الأعمدة الأربعون". عندئذ قالت العاشقة الخائبة:

- أنت على حق يا "جيم". أعتقد أن علينا أن ننصرف.

وأخيرا لما صارت وحيدة في غرفتها الخاصة سمحت "ديانا" المسكينة لنفسها أن تستسلم للأفكار المحزنة. "بروك" على حق إذن برفضه دعوة آل "رينهارت". ولمَ لا؟ لماذا لا يرى أصدقاءه الآخرين؟ ماكانت تستطيع المطالبة بهجرهم طيلة الوقت الذي تكون فيه في المنطقة. ثم إنها على وشك الرحيل لأن أعمالها تدعوها. عليها أن تعود إلى بيتها. ثم إنها بعد كل هذا تملك مواضيع ذات فائدة أكبر من قصة غرام مع مربي من شمال "داكوتا"!

- "ديانا"؟ أمازلت مستيقظة؟

قرعت "جاكي" الباب تنتظر الجواب. نظرت إلى صديقتها وهي جالسة على السجادة وظهرها مستند إلى عمود السرير نظرة تضاهي سواد السماء.

وضعت سيدة البيت الطبق الذي كانت تحمله على الأرض وجاءت تجلس إلى جانب صديقتها القديمة دون كلفة.

- شوكولاتة دافئة مع بسكويت هل يطيب لك؟

أخذت "ديانا" كأسا وهي تتنهد:

- لا شيء يطيب لي. أنا أتقهقر إلى الوراء يا "جاكي". لقد عدت إلى الحالة التي تكون عليها فتاة يافعة بعد رؤيتها صديقها يراقص فتاة أخرى. لقد نسيت كل ما حددته لنفسي من اللاءات: "ألا أفقد أبدا التدقيق في الموقف، ألا أصرح لرجل أبدا بأني أحبه، ألا أعشق شخصا يقيم في الجانب الآخر من القطر".

- هل اعترفت له حقا بحبك؟

- تماما. أحبه وأعلنت له حبي. لم أجد أي اعتراض على قولي له في حينه.

- إنه يحبك يا "ديانا". أنا أعرف أنه يحبك. لكن "بروك" مثلك لا يريد أن يصبح مهتزا. ولو عرفت زوجته الأولى لفهمت السبب.

- على أي حال، هذا البلد شديد القسوة بالنسبة لي، متسع ومتخلف.

- أنت مخطئة بتفكيرك هذا... صحيح، قد لا تكون فصول الشتاء لطيفة جدا. انتظري لتتذوقي طعم برودتنا!

- أشكرك، لكنني لا أنوي ذلك أبدا.

رفعت المحامية فنجانها إلى شفتيها:

- مع ذلك فإن شوكولاتتك ممتازة.

حركة خفيفة على النافذة أثارت انتباه السيدتين. تبادلتا النظر وهما في حالة دهشة. علا صوت من الخارج يقول:

- "ديانا"! "ديانا"! اعرف أن هذه غرفتك. ومادامت نافذتك مضيئة فإنك مازلت مستيقظة. تعالي، أريد أن أكلمك.

شعرت المرأة الشابة بقلبها يقفز في صدرها. همست لـ "جاكي":

- لا ريب أنه أضاع رشده أو أنه ثمل. هل يستطيع رؤيتنا من خلال زجاج النافذة؟

رفعت سيدة البيت رأسها بإشارة نفي:

www.liilas.com

- الارض شديدة الانخفاض في هذا الجانب.

- جيد جدا. ستكون لي مناقشة صغيرة معه.

- لا تتكلم معي فانا لست هنا.

عاد الصوت يقول:

- "ديانا" لديّ أشياء أقولها لك!

ردت "ديانا" بصوت منطبع بملل عميق:

- حسنا، اتصل بي هاتفيا غدا.

- أتريدينني أن أوقظ كل سكان البيت؟ إذا لم تأت فساصيح بصوت مرتفع جدا.

تبع ذلك سكون تعكره أصوات غريبة صادرة من جانب ألواح الزجاج الآخر ثم ثارت ضجة مكتومة مصحوبة بقسم رنان.

- "بروك"؟ بم تلعب؟

- أحاول الوصول إلى النافذة لكنني سقطت على هذه الدراجة الثلاثية اللعينة. تعالي يا "ديانا" وإلا حطمت الباب.

استولى الضحك المتواصل على السيدتين الموجودتين في الغرفة فقالت "ديانا" ضاحكة:

- ما عليك إلا أن تسحب المسمار الصغير فتسقط السقاطة. ألا تعرف الحكاية؟

ضغطت على عاكس التيار فساد الظلام الغرفة.

- لكنني لست ذئبا يا "ديانا" ولست ضفدعا. ماذا تفعلين؟

- أطفأت النور لأرى إذا ما كنت ترتدي ثياب "صاحب القبعة الحمراء" الصغير.

اقتربت المحامية بخطى بطيئة إلى النافذة بينما تسللت "جاكي" إلى خارج الغرفة. أظهر القمر مشهداً غريباً: دراجة ثلاثية منقلبة على الأرض وشكلا أسود بسيقان طويلة جالسا على الأرض وذراعاه ملتفتان حول ركبتيه المطويتين يتدفأ بدفء النجوم.

- هل تسليت بشكل جيد هذا المساء يا راعي البقر؟

- جيد جدا. تعالي يا أميرة أود أن أشرح لك أمرا.

- تعقل وعد إلى بيتك.

- لا أستطيع على أي حال. كنت مع "واين" في سيارته وهو الذي نقلني إلى هنا.

- و"كريس"؟

- عند أمه. أتعتقدين أنني كنت سأتركه وحده؟

- لا مطلقا. حسنا. ساكون معك خلال دقيقة.

والحقيقة أن الدقيقة كانت كافية لتنتعل المرأة الشابة حذاءها وتأخذ حقيبتها اليدوية. كان "بروك" المستاء ينتظرها على الشرفة مستندا إلى الدرابزين. سألها:

- أتعدين نفسك لجولة جديدة في المدينة؟

- أريد إعادتك إلى بيتك مادمت لا تستطيع تحقيق ذلك.

- أريد أن أكلمك أولا. لقد رأيتك قبل قليل في مشرب "الشمس" مغتاظة دون داع.

- أنا؟ أبدا. لقد انصرفنا بسبب تراكم الزبائن.

- مرحى يا "ديانا"! ماكان يمكن لـ"بيتي ديفيز" أن تنطق بها خيرا مني. هل أنت واثقة بانك لست ساخطة؟

- ولماذا أكون ساخطة؟

- لأنني كنت مع "ريتا". لكنني لم أكن مع "ريتا"، هذا ما أردت أن أقوله.

نهض المربي واقفا وتقدم خطوتين وصدى خطواته يعلو فوق خشب الأرضية ثم وضع يديه على كتفيها عندما بات قريبا منها. عادت دقات قلب السيدة الشابة تتضاعف. كرر قائلا:

- ما كنت مع "ريتا". هي التي جاءت لمشاهدة تمارين الأنشوطة التي كنا نمارسها ثم تبعتنا.

- لست ملزما على إعطائي أي مبرر.

- أعرف.

أحنى "بروك" رأسه فادارت "ديانا" رأسها قبل أن يتوصل إلى لمسه.

- لقد شربت كثيرا ولابد أنك ثمل لمجيئك إلى هنا والظهور بهذا الشكل.

أمسك المربي بذقن رفيقته بيده القوية وأطبق بفمه على فمها تاركا لها مشاركته في سكره. همهم "بروك" بين شفتيه.

- ثمل أو مجنون.

- أنت ثمل وأنا مجنونة.

فكرت: "نعم مجنونة أنا، مجنونة تماما".

- إذا نقلتني إلى بيتي يا "ديانا" فستهيئين لي فنجان قهوة لإنعاش أفكاري.

- سأحملك لكنني لن أبقى معك. أنا لا أثق مطلقا برعاة البقر السكارى.

فتح "بروك" باب السيارة وانحنى ليسمح للسائقة بالمرور مبينا أنه لايزال رجلا متمدينا رغم كل شيء. مع ذلك فإن تأكيده ضعف عندما حاول الانزلاق فوق المقعد المعد للمسافر المرافق.

- أين يتوجب أن يضع الإنسان ساقيه في هذه العلبة؟ يا للسماء.

- هذه العربة لم تبتكر للعمالقة.

بذلك ردت مالكة السيارة ببرود.

تمت الرحلة بسكوت شامل. وعندما توقفت السيارة، فتح المربي فمه.

- أحب الثرثرة بعد شرب بضعة أقداح. أوقفي المحرك واتبعيني إلى البيت.

- الوقت متأخر جدا.

- أبدا. عليك مساعدتي في تنظيم مشكلة قانونية.

- مرة ثانية؟

- تماما. أولا: أنا الآن بت غارقا في شبكة صيدك فكيف الخروج والتحرر؟ ثانيا: هل عليّ الاستمرار في التصرف بشكل لطيف أم الجا

إلى أسلوب القوة لاقنعك بالدخول إلى بيتي؟

- لم أدرك من قبل أنك تظهر بشكل لطيف. متى كان ذلك؟

- لقد انبطحت أمام نافذة غرفتك، ألا يكفي هذا؟

- لا يكفي حقا. وما هو الموضوع الثالث؟ فهناك دائما "ثالثا".

أجاب المرافق وهو يطفئ جهاز النور:

- ثالثا: أنت تحرقين الوقود دون موجب ولا أدري لم أنت غاضبة؟

- سنتكلم في الأمر غدا يا "بروك" عندما تصبح أكثر رزانة ويقظة.

دس "بروك" مفاتيح السيارة في جيبه وقال:

- إذا قلت لك أين صندوق العدة، فهل تعتقدين أنك ستسحبينني من هذه السيارة بملقط؟ أنا في وضع شديد الضيق هنا.

أطلقت "ديانا" زفرة سخط وقالت:

- لا تريد غير القهوة حقا؟

- إضافة إلى محادثة.

- محادثة ودية؟

- محادثة محلاة، كالقهوة.

منتدى ليلاس الثقافي
www.lilas.com

الفصل الثامن

أعلنت "ديانا" وهي تمد لضيفها قدحا يتصاعد منه البخار:

- القهوة، تكلم الآن وأعد لي بعد ذلك المفاتيح.

- أأنت متأكدة من أنك لا تريدين فنجانا؟ لقد أعددت القهوة لستة أشخاص.

قام "بروك" وهو يتكلم وأخذ قدحا من خزانة الجدار فسألته السيدة الشابة:

- ماذا تفعل؟

- مجرد حيطة إذا ما غيرت رأيك ورضيت مشاركتي في القهوة. لننتقل إلى قاعة الجلوس حيث سنكون أكثر راحة.

- هذا غريب. أنا لا أشعر بالرغبة في أن أكون أكثر راحة. لو سمحت، قليلا من السكر والقشدة إذا أردت.

أمسكت المحامية بالقدح وابقته على امتداد ذراعها وكأنها تنشر رائحة مزعجة. ولما دخلا قاعة الجلوس جلست على حافة الكنبة.

- وهكذا يا "بروك"، لقد تسليت هذا المساء بشكل جيد.

ولم لا؟ من الخير الدخول في المحادثة فورا مادام رب البيت يريد التحدث.

أيد المربي قولها بحركة من رأسه وشرب جرعة كبيرة:

- إنها تغلي. قلت لك يا "ديانا": إنني ذهبت إلى "واين" مع مجموعة من الأصدقاء لنتمرن وقررنا أخيرا القيام بجولة في "مشرب الشمس" كان عليك أن تغلي لأن ذلك كان سيمكننا من الرقص معا.

- لقد رقصت إذا لم يكن في قولي تطرف. لقد فوجئت بوجودي، أليس كذلك؟ بدوت لي غير مرتاح لوجودي بل كنت مرتبكا.

- ماكنت أفكر في أن تكوني في مشرب الشمس ذلك المساء. لكنني لم أدع "ريتا" لمرافقتنا. أكرر لك القول.

- إذن، لماذا بدوت على هذا الإحساس بالذنب؟

استدار "بروك" إلى مدعوته ليحدق إلى عينيها وقال:

- لم يكن ذلك بسبب "ريتا".

- لقد قررت أن تتوقف عن رؤيتي، أليس كذلك؟

- لا. ليس تماما.

- قلت لك ذلك اليوم: إنني أحبك. لم يكن ذلك ما تريد سماعه إذا كنت جيدة الإدراك. كل ما تريده هو من يشاركك الليالي من حين لآخر.

احتج "بروك" قائلا:

- أنت عمياء يا عزيزتي.

- حتى الآن كنت حادة النظر في رؤية الأشياء، وكنت حسنة التصرف دائما وبحكمة...

كانت مناسبة مواتية لطرح مداعبة لم يستطع المربي مقاومتها:

- قضائية؟

- حكمة، حكمة، تعقل إذا كنت تفضل القول. فصدقني لا أعتزم التغيير.

- لا تثوري يا "ديانا". لا أحب رؤيتك وأنت غاضبة. حسنا جدا، سأقوم بشيء أرعن. أريد الاعتراف بالحقيقة. لم أكذب عليك في الحقيقة

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

لكنني لم أقل لك كل شيء.

تنفس المتحدث بشهيق عميق وكأنه يستعد للخوض في الحديث واسترسل:

- أنا أعرف فيما فكرت عندما رأيتنا معا: "رينا" وأنا. قررت أن أدعك تتصورين ما تريدينه. لكني قررت آخر الأمر أن أطلعك على الحقيقة؛ لذا طلبت إلى "واين" أن يحملني إلى حيث تقيمين.

- أتفترض أن أكون مبتهجة بالطريقة التي حملتك إلى آل "رينهارت" هذا المساء؟

عندما وضع الشارب الكأس على الطاولة صدر عنه صوت حاد. انحنى "بروك" نحو رفيقته مطبق الفكين بشدة وقال:

- أنت محقة يا "ديانا". كنت أود التحرك بالتقهقر. فأنا والد طفل في الخامسة كما أنني أسوأ معتوه يقع في حب محامية من "رود ايسلند".

أطبق بيديه القويتين على كتفي جارته وأرغمها على الاستدارة نحوه وقال:

- ستكون لك فرصة للابتهاج أيتها الأستاذة. أنا أحبك بمثل صحة وجودك هنا إلى جانبي على هذه الكنبة. فماذا تستنتجين من هذا الاعتراف؟

انطرح رأس "ديانا" إلى الوراء تحت ضغط فمه فارتطم بمسند الأريكة. وجاءت قبلة محترقة كالنار حافلة بالتلهف وبالحاجة الملحة إلى إفهامها وإيضاح رغبته. ظلت السيدة الشابة فترة عاجزة عن الحركة والتخلص من هاتين الذراعين اللتين تشدان كتفيها، ومن تلك الشفاه التي تقول وتكرر القول بما يعترف به دون أن تنطق بكلمة. ثم تغلغلت في أعماقها عبارة "أحبك" التي أطلقها "بروك" وعندئذ لفت ذراعيها حول ظهره المتين وراح لسانها يبحث عن لسانه غاص العاشقان لاهثين في قبلة لا نهاية لها. وعندما انحلت عقدة عناقهما قالت "ديانا" بذهول:

- "بروك".. "بروك ريد"!

يا لقوة هذا الاسم! مقطعان قاسيان طنانان، اسم صارم، أين حكمتك يا "بروك ريد"؟

طرح المربي الوسائد على الأرض ليفسح مجالا أوسع:

- أنا أطبق عليها بين ذراعي. حكمة يا "بيترز". فتاة شديدة التعقل لا تثق برعاة البقر السكارى. لست أدري كيف بلغت حد محبتي؟ اعترف المذنب وهو يعضعض شفته السفلى:

- ما كان عليّ أن أقول لك ذلك.

- فات وقت الندم والتأسف.

أحنى "بروك" رأسه ليطبع قبلة على فم رفيقته وقال موافقا:

- وأنا كذلك، ما كان علي أن أعترف لك بحبي. لكنك حولتني إلى مجنون بتصرفاتك المتعالية، تشبهين قاضيا يصغي إلى أقوال متهم.

- أنا محامية يا "بروك" ولست قاضية. أترد أن تضيف إلى ملفك حالات متصلة؟ بضع قبلات على سبيل المثال؟

- لا مطلقا. ساعطيك كل الحالات المتواصلة المتعلقة بالأرض.

زم العاشق شفتي رفيقته الرقيقة بشفتيه قبل أن يغمر وجهها بقبلات كحلاوة العسل. ثم استدار على جنبه ورفع الرأس الأشقر فوق رأسه. بتلك الحركة تهدل شعر "ديانا" إلى الأمام فدفعه إلى وراء أذنيه وهو يقول:

- لا تخبئي نفسك عني يا عزيزتي. دعيني أرى هذا الوجه البالغ الاناقة. أحب رؤية عينيك ترقصان عندما تشاكسيني.

ضحكت المحامية ضحكة واضحة ومرحة كضحكة فتاة صغيرة بينما استرسل "بروك" قائلا:

- صحيح. شعرت فعلا بأنني ضفدع تافه عندما رأيتك تذهبين إلى مشرب الشمس مع آل "رينهارت".

- وأنا، عندما رأيتك مع تلك المرأة فكرت في أنه ما كان علي أبدا أن أعترف لك بأنني أحبك وأنني تصرفت تصرف امرأة حمقاء.

- أعدت التوازن بتصرفي كأحمق منذ قليل.

www.liilas.com

- مطلقا! كنت رائعا في اعترافاتك. لم يمنحني أحد قط فرصة تمثيل دور "روميو وجولييت" على حلبة الشرفة.

- نعم.. إذن لا فائدة من سرد ذلك على أحد.

- حتى على "جاك"؟

- على "جاك" على الأخص!

طافت ابتسامة ساخرة على شفتي "ديانا". كان "بروك" يجهل أنه كان هناك شاهد حضر المشهد. قد تطلعه ذات يوم عندما يشيخان ويغطي الشعر الرمادي رأسيهما أن "جاكي" كانت في غرفتها حينذاك. سوف يضحكان و.. نعم، ولكن متى تحين الفرصة لإثارة هذه اللحظات؟ متى سيتقابلان من جديد؟

استقامت السيدة الشابة فوق الكنبة وقالت:

- حسنا يا سيد "زيد" لقد سددت ديني وحان الوقت لتعيد إلي مفاتيحي.

- لا احتمال في هذا لانك ستقامرين بالذهاب.

- لقد حصلت على قهوتك وعلى المحادثة التي كنت تريدها. قلت..

جذب "بروك" شفتي "ديانا" إلى شفتيه ويداه تضغطان على الخدين الورديين.

* * *

استدار صاحب المزرعة وهو في نصف غفلة وتحسس الأغطية. لماذا لا يتوصل إلى إيجاد وضعية مناسبة؟ لعل عليه أن يستدير على الجانب؟ لم تلق يداه غير الفراغ. ألم تكن "ديانا" إلى جانبه منذ حين؟ أتراه يخلط بين ليلة أخرى؟ قرعت دمدمة خفيفة أذنيه. هذا ما كان يشعر به منذ دقائق: صداع ماكر معذب. استند على مرفقه وفتح عينا ثم الأخرى فشاهد شكلا أبيض أمام النافذة.

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد. كم كانت الساعة إذن؟ الرابعة والنصف تبعا للمنبه. والمرأة التي كان عليها أن تكون ممددة فوق الأغطية تقف أمام زجاج النافذة وظهرها إلى الغرفة. كانت بقعة أكثر

بياضا من جسمها تبين مكان السروال وترسم خطوط أشكالها المليئة.

كانت رغم الجو الفاتر تدلك ذراعيها وكأنها تحاول اكتساب بعض الدفء.

- أتشعرين بالبرد يا "ديانا"؟

أطلقت المناداة صرخة مفاجأة:

- اعذريني يا عزيزتي، ما أردت أن أخيفك. هل أنت بخير؟

دمدمت السيدة الشابة دون أن تلتفت:

- سيهطل المطر.

- عظيم. هذا حقا ما نحن بحاجة إليه. مطر غزير يدوم أياما كثيرة.

- لقد سمعت الرعد.

- وهل أخافك؟

أحنت "ديانا" رأسها بإشارة نفي.

- قمت لأفحص النوافذ. هذا ليس بيتي مع ذلك.. لماذا أقوم لأشغل نفسي بزجاجة نافذة مفتوحة؟

هزها الزفير العميق ومنعها من المتابعة.

ألقى "بروك" بحركة أغطية السرير ليقفز على الأرض. سال وعيناه مستقرتان دائما على ظهر صديقته:

- ماذا بك يا عزيزتي؟ لم تبكين؟

وفي اللحظة التي طوقها بذراعيه دوى صوت الرعد. شعر "بروك" بجسم رفيقته يرتعد فظل يطوقها فترة طويلة ويضمها إلى صدره وخده مستقر على الرأس الأشقر. وأخيرا كرر القول:

- لماذا تبكين؟

- ايقظني الرعد. في بادئ الأمر لم أدرك أين أنا..

داعب سيد المزرعة ظهر "ديانا" وهو يتساءل: هل هي متأثرة برد فعل كابوس. همس قائلا وهو يشير إلى السروال الأبيض برأسه:

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

- لقد وجدت مع ذلك قطعة من القماش.

هذا كل ما.. عادة أنا لا..

- لقد نمنا معا يا "ديانا"، ماذا حدث؟

- لست أدري. أنا لم أعد أنا نفسي.. أنام في بيتك كال... كامرأة جاءت تشارك في السرير لليلة.

ضاعت الكلمات الأخيرة في دموعها فانتظر "بروك" توقف الدموع ليؤكد:

- لم تدخل أي امرأة هذه الغرفة منذ رحيل زوجتي السابقة. أنت لست هنا تبعا لنزوة. أنت هنا لنكون مع بعضنا. اسمعي المطر يهطل. تعالي لتنامي. لنحب بعضنا بعضا في مطر الشفق.

أغمضت السيدة الشابة عينيها وطبعت قبلة على الجذع المفتول العضلات:

- نعم يا "بروك"، لنحبب بعضنا بعضا في المطر.

وعندما تم تبادل الحب على السرير الأبيض الكبير داعب "بروك" الرأس المستند على صدره. تمتم برقة:

- أشعر بانك تخافين الرعد.

- هذا صحيح كما أخاف المطر. أشعر بانني مهجورة على جزيرة خالية من البشر ولكن الأمر مختلف هذا الصباح. كان يمكنني البقاء على هذا السرير طيلة النهار لأتذوق ما أشعر به. ما هو نقيض كلمة الوحدة؟

- الغرام؟

- يكون المطر شديد الإبهاج عندما يكون المرء في هذا الإحساس. توارت كل منغصاتي. أشعر الآن بانني بحالة رائعة من الراحة.

ملس "بروك" الشعر الأشقر على الوسادة. أعلن قائلا:

- أظن أن الفرق يكمن هنا، بين تبادل الحب و... فهمت ما أعني.

عندما يتبادل الحب رجل وامرأة يتبدلان ويخلقان روابط بينهما. فكل منا يحتفظ من جانبه بجانب من الآخر يا عزيزتي.

تنهدت "ديانا" وهي تتمتم:

- ساحظى بجانب أعظم كثيرا مما كان عندما جئت إلى هنا!

عندئذ فقط لاحظ صاحب المزرعة أن صداع رأسه قد اختفى منذ أمد طويل.

مشغى ليلاس الثقافي
www.lilas.com

الفصل التاسع

كانت مستلقية على مضجع شاطئ في الحديقة فشعرت بحرارة حارقة تدخل خلال كل مسام جسمها. حان الوقت لتستدير وإلا فإنها ستصاب بضربة شمس.

- "بروك" على الهاتف يا "ديانا" يريد أن يعرف ما إذا كان يمكنه المجيء لياخذك في الساعة السابعة؟

رفعت المحامية رأسها لتحدق في اتجاه المطبخ دون أن تتوصل لرؤية صديقتها. قالت وهي تطبق عينيها تحت ضوء النار:

- ما السبب؟

- يقول إنكما متفقان على الالتقاء هذا المساء.

تبع ذلك سكوت فاستانف صوت "جاكي" يقول:

- "ديانا"، يريد "بروك" أن يعرف ما إذا كنت تقبلين الخروج معه؟

- في أي ساعة؟

دام الصمت دقيقة هذه المرة.

- الساعة السابعة وهو يعرض عليك الذهاب إلى "مشرب لشمس".

- حسنا جدا. ساكون جاهزة.

- إنه يؤكد على عدم ضرورة ارتدائك ملابس خروج.

القت الجميلة الواهنة نظرة على هندامها: لباس بحر صغير معد للساعين إلى إسمرار الجلد في حين كانت ترتدي ثوب استحمام رقيقا من قطعة واحدة على الشاطئ.

- هل يمكنك ان تقولي له إن...

قاطعها صوت "جاكي" القريب منها:

- قلت له إن اي شيء يحسن هندامك. اجلسي لقد جئتك بالشاي.

أخذت "ديانا" القدح الممدود لها. سالت "جاكي":

- ماذا تعرفين عن زوجة "بروك" السابقة؟

- لقد ارتكب خطا كبيرا. انا واثقة بانهما كانا سيفترقان قبل ذلك بكثير لو لم يولد "كريس". وبسببه شعر "بروك" بضرورة إبقاء الارتباط قائما. لقد أمضيا معا الصيف الاخير لترابطهما هنا.

- واضح انك لا تحبين نوعية "لوري"، هذا ما أفهمه.

- ما كان أحد قادرا على محبتها. ما كانت تقدر شيئا من الحياة هنا. وتقوم بدور الأم بشكل سيئ جدا. لقد فرت مرتين خلال ذلك الصيف. المرة الأولى راح "بروك" ياتي بها والثانية...

هزت "جاكي" كتفيها ثم اضافت:

- بصراحة، اعتقد انها كانت مجنونة إلى حد ما. حصان بري إذا تصورت ما قلته لك. وانت مجنونة كذلك ببقائك تحت اشعة الشمس كل هذا الوقت. انت تميلين الآن إلى الحمرة. لن يستطيع أحد أن يعزف الكمان على ظهرك خلال عدد من الأيام!

* * *

استقبلت القادمين اغنية لطيفة على عزف الجيتار عند وصولهما إلى مشرب الشمس. جلسا إلى مائدة صغيرة بعيدا عن الحشد. كان الزبائن كالامس خليطا مثيرا من المزارعين في ثياب العمل وزوجات انيقات في سترات رياضية وثياب الإناث الصوفية. كان "بروك"

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

ببنطلون الجينز وحذاء خفيفا يمت ولا ريب للمجموعة الأولى في حين كانت "ديانا" تسطع في ثوبها الضيق ذي اللون المخملي. تنهد "بروك" عندما جاءته مضيفة بالشراب وقال:

- لماذا جئنا إلى هنا في حين كنا قادرين على أن نكون معا في البيت؟

لمست يده القاسية عنق جارته تحت انسدال شعرها الكستنائي اللون واسترسل قائلا:

- لنعد إلى البيت.

- لست متأكدة من انني أتوق إلي الذهاب إلى بيتك يا "بروك". كل شيء بات شديد التعقيد بيننا.

- رائعا، هذا ما تريدين قوله.

- بالغ الروعة وسيكون افتراقنا أكثر أسى وحزنا.

- أكنت تفضلين ألا يحدث شيء بيننا؟

- كلا، بالتأكيد.

أخذت "ديانا" "يد بروك" وقلبتها بحيث بات الكف إلى الاعلى وكأنها سلحفاة وقالت:

- أتريدني أن أقرأ خطوط كفك؟

عركت الجلد القاسي ولمست الخطوط وكأنها تريد تسوية أجزائها وبدأت القراءة قائلة دون أن تنتظر الرد:

- هذا خط الحياة. إنها طويلة جدا. وهنا خط الزواج.. أترى؟ إنه مزدوج.

دفعت المحامية وهي تتكلم بظفرها المغطى بالمانيكير على الكف الممدودة واسترسلت قائلة:

- إن خط الغرام شديد التعقيد وغير منتظم.

- كنبضي في هذه الفترة. وإذا فقدت هدوئي فستكونين أنت المسؤولة.

قال "بروك" ذلك بصوت أجش، فاستمرت السيدة رابطة الجاش.

- أنت رياضي ممتاز تملك عضلات جبارة في الساقين.

- كالضفادع على سبيل المثال.

- لاحظ، هذا أمر مثير. ستقوم برحلة خلال وقت غير بعيد.

قاطعها "بروك":

- لنخرج. أريد أن أنفرد بك. المكان يعج بالناس هنا.

- ألا تريد معرفة المزيد عن مستقبلك؟

- كلا. المستقبل نحن المسؤولون عنه. نحن الذين نقرره.

لم ينطق المربي بكلمة طيلة المسيرة. كان وجهه متوترا وفكاه مشدودين وهو غارق في أفكاره دون أن تجرؤ "ديانا" على طرح أي سؤال. ركن السيارة دون أن ينطق بكلمة أمام البيت وأمسك بقميص رياضي من قماش الجينز ليلقيه على كتفي رفيقته فارتعشت عندما مس القميص كتفيها.

سألها "بروك":

- ماذا بك؟

- لا شيء، لسعة شمس.

ابتسم ابتسامة ردت الانفراج إلى قلب "ديانا". قال ملاحظا:

- لقد لاحظت أن وجهك أصبح ورديا أكثر من العادة. أنف وردي شيء جميل.

- ومؤلم. وما فائدة قميص الرياضة؟

- أود أن أريك شيئا ما.

عند آخر البستان غيضة صغيرة تنحدر باتجاه النهر. تبعت السيدة الشابة صاحب المزرعة تحت ضوء القمر خلال الأعشاب العالية. وأخيرا توقف المربي أمام قاعدة بناء من الحجارة قرب مجرى الماء فاعلن قائلا:

- ها قد وصلنا.

www.liilas.com

كان هذا هو الشيء الذي أرادها أن تراه في هذه الساعة غير المناسبة! يا للكتل المتهدمة المهجورة منذ أمد طويل! قال المالك مفسرا:

- كان أسلافي يعيشون هنا. بنوا بأنفسهم مسكنهم وبعد ذلك احترق فعملوا على بناء البيت الكبير. ذات يوم -وكنت في السنة الثامنة من عمري تقريبا - جاء بي جدي إلى هنا وحدثني عن البيت الصغير الذي بناه بيديه. كان يصفه لي وكأنه قصر إذا قيس بالكوخ الذي عاش فيه عندما كان طفلا لما وصل أقاربه إلى هذه الأرض.

صمت الخطيب فترة قصيرة. شدت المستمعة القميص حول كتفيها. "ترى لماذا يروي لي "بروك" هذه القصة؟ ما هي النهاية التي يريد الوصول إليها؟"

- ثم شرح لي جدي كيف هاجر ذووه من ألمانيا ليأتوا إلى هنا، إلى الولايات المتحدة. أفهمني إلى أي عمق تنغرس جذورنا في هذه الأرض. أمل أن يرى من الأعالي أن أسرته لا تزال تعيش في هذا الملك الذي أحبه.

جلس "بروك" على القاعدة من الحجارة التي رتبها جده. لم تكن الحجارة الخشنة تصلح مقعدا مثاليا لسيدة ترتدي ثوبا أنيقا. لكن "ديانا" استجابت لحركة يد رفيقها التي دعتها إلى الجلوس إلى جانبه. استرسل "بروك" يقول:

- كنت أتوق إلى أن أفعل كثيرا من الأشياء خلال حياتي ولكن دون مغادرة المزرعة. لقد التحقت بالبحرية لأرى العالم لكنني كنت أعرف أنني سأعود. ظننت أن "لوري" قادرة على التآلف مع هذه الحياة وأنها ستعتادها شأن أمي قبلها لكنني كنت مخدوعا. لكن لدي "كريس".

ورقت رنة الصوت وهو يسترسل في الكلام:

- عندما أنظر إلى ابني أتذكر ما كان يقوله لي جدي عن جذورنا. لا ريب أنك تتساءلين: لماذا أروي لك هذه القصة الطويلة يا "ديانا"؛ لكي

تدركي ما أشعر به حيال "كريس" هذه المزرعة وكل ما يحيط بي هنا. أتفهمين أليس كذلك؟

- لست متأكدة. ماذا تود أن تقول لي؟

- إنني مزروع هنا في هذه الأرض التي تحت قدميك وإن مالكا من شمال "داكوتا" بعيد جدا عن محامية من "رود ايسلند". أنت بنت مدينة وأنا ابن ريف. هل فكرت في كل ما يفرق بيننا؟

تأملت السيدة الشابة كوكب الليل فترة ثم هبطت بنظرها إلى رفيقها فتأكدت من أن عينيه مفعمتان بالأسى المقلق.

تنهدت قائلة:

- أعرف. كان كل شيء سيكون بمنتهى البساطة لو كنا أولادا نخرج معا من المدرسة، ما كان لنا أي ماض. كنا قادرين على تكريس أنفسنا للمستقبل. أما أنا فإن لي حرفتي وأنت لك ابن ومزرعة وعمل.

- كل هذا سهل مع نساء معينات. يدعونني إلى بيوتهن فأذهب إليهن فنشرب كأسا معا ثم نمتع أنفسنا بجانب من الوقت الطيب. ولما يشرق الصبح أشكرهن وأعود إلى بيتي وفي ذلك النهاية.

توقف "بروك" عن الكلام فترة ثم عاد يتكلم بصوت مختلف تماما:

- لا أستطيع التصرف معك على هذا النحو. لا أريدك أن تشاركيني ليالي لتنصرفي بعد ذلك. أريد أن نتأخر في المطبخ لنهيئ الإفطار وأن نثرثر ونضحك معا. كم أود لو تبقين يا "ديانا"!

سألت الشابة رفيقها بنظرة: لماذا يدعها تذهب إذا كان يرغب في بقائها؟ الحل قائم في متناول يده بسيط وتافه.

قال "بروك" وقد خمن السؤال الذي لا تجرؤ على طرحه:

- ليس من حقي يا "ديانا".. هذا مستحيل بالنسبة لي.

قام وتقدم ثلاث خطوات وهو يغرز يديه في جيبي بنطلونه. قال وهو مستدير بظهره:

- ماكنت أفكر في أنني قد أحبك إلى هذه الدرجة، كما لم أكن أريد أن

منتديات ليلاس الثقافي www.liilas.com

تقعي في حبي. حاولت أن أنقطع عن رؤيتك لكنني ما استطعت مقاومة نزعتي. لا أريد أن أفقدك يا عزيزتي.

- إذن لماذا لا تطلب مني أن أبقى؟

استدار حول نفسه وراح المربي يتفحص طيلة دقيقة الوجه المتجه نحو وجهه.

- لانني لا أستطيع الزواج منك يا "ديانا". أنا أعرف أنك سترفضين البقاء معي إذا لم نكن متزوجين. والسماء تعرف مع ذلك أنني أود أن أحصل عليك كزوجة. لكنني لا أستطيع تحقيق ذلك فانا... أنا مازلت زوجا لـ"لوري".

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

الفصل العاشر

- سامحيني يا "ديانا".

راح صاحب المزرعة يحدق بين الحين على ضوء القمر في الراس العنيد والعينين اللتين كان يتوقع أن تكونا مفعمتين بالاضطراب والجسم الذي كان في أعلى درجات التوتر. كرر يقول:

- سامحيني. أنا أعرف أن السكان هنا يعتقدون أنني مطلق، وقد جعلتك تصدقين ذلك.

- كانت الخدعة بارعة!

- لم أتصرف تبعا لموضوعات مقصودة. كنت أفضل عدم التفكير في الأمر، لكنني أعترف بانني لم أتصرف بشكل صريح. لقد لامني "جاك" على ذلك بما يكفي! حوّل حياتي إلى جحيم خلال هذه الأيام الأخيرة.

- إذا كنت أحسن الفهم، فانت تعتقد بأنك عوقبت.

- حاولي وضع نفسك في مكاني يا "ديانا". أنا لم أر "لوري" منذ أربعة أعوام وبذلك يخيل لي أنني مطلق.

- الطلاق ليس عملا عاطفيا يا "بروك" إنه حكم قانوني مشروع.

- وكذلك حضانة الأطفال.

هتفت المحامية مذهولة:

- لن تقول لي إنكما لم تمثلا قط أمام المحاكم حتى ولا لتحديد مصير "كريس"!

- ما استطعت. بعد افتراقنا نادتني "لوري" مرات كثيرة تطلب مالا. كنت أرسل لها ما تطلب. وذات يوم تكلمت عن الطلاق فطالبتني بحضانة الطفل عندئذ تراجعت. لم اسمع أي نبأ عنها منذ ثلاث سنوات حتى إنني لا اعرف اين هي؟

- إذا كانت زوجتك غير معروفة المكان فذلك يشكل حالة هجر لطفل. يمكنك الحصول على الطلاق استناداً إلى هذه الحالة.

- أعرف. لقد كلمت محامي في هذا الأمر..

انطوت شفتاها بابتسامة مرغمة:

- محامي الآخر. لكن زوجتي السابقة شرسة لكنها شرسة نائمة والمثل يقول "لا توقظ المياه الراكدة".

- أنت تتصرف مثل..

توقفت "ديانا" بصراحة. ما فائدة الانطلاق في التانيب والملامات عديمة الجدوى! ثم إنها لم تجابه حالة مماثلة في مهنتها. لم تر قط حياة رجل خاضعة بهذا الشكل لامرأة هجرته تاركة له ولدا.

استانفت تقول:

- "لوري" ليست متمسكة ولا ريب باستعادة "كريس". لن تكون هناك محكمة.

- لا تعطني أملا في أنه "لن تكون هناك محكمة" أيتها الأستاذة. تقضي العادة أن يكون الاطفال مع أمهاتهم وأخاف دائما من أن تمثل "لوري" ذات يوم طالبة ابنها. ماذا سيقول القاضي في مثل هذا الموقف؟

- لقد شاهدت أفلاما كثيرة!

- ربما. لكن الأمر يتعلق بابني. ماكنت أبالي حتى الآن بأن أكون مطلقا أو غير مطلق. كل ما كنت أريده هو أن تدعنا "لوري" هادئين.

"كريس" وانا.

- ولكن لمَ تلجأ إلى..؟

- سؤال وجيه! لماذا تفعل مالم تفعله حتى الآن؟ ولكن لماذا تزوجتني؟ لقد كرهتني منذ أن اكتشفت أنها حامل. ثم إنني لا ادرك كيف توقعت الحصول على طفل. لاشك أنها نسيت ابتلاع حبة او أي شيء من هذا القبيل.

- يمكن للمحامي البارع أن يحصل لك على حضانة الطفل.

جلس "بروك" إلى جانب المرأة الشابة ولمس خدها بأصبع خجل. ولما رآها لا تستجيب لحركته سحب يده وهتف قائلا:

- "كريس" صغير جدا! انا أبوه وانا المسؤول. لا اريد التعرض لأي احتمال.

- في هذه الحالة ما عليك إلا أن تعيدني إلى بيت "جاكي". اعتقد اننا قلنا كل ما يجب قوله.

* * *

حاولت "ديانا" طيلة يومين أن تتغلب على المها ولكن دون جدوى. كان فكرها يعود دائما إلى الموضوع نفسه: "بروك". كانت المحامية في حالة جيدة تمكنها من معرفة الأخطار التي ستؤدي الافكار النكدة إليها.

وفي البستان الملحق بالمنزل اعلنت قرارها لصديقتها وهي تقتلع معها الأعشاب الرديئة.

- ساعود إلى بيتي يا "جاكي". سأرحل حالما ينتهي مركز الصيانة من الكشف على سيارتي. أعتقد أن هذا افضل.

القت سيدة المكان غرسات الفاصوليا التي كانت تعمل فيها لتعلن بصوت رقيق:

- عفوا يا "ديانا". كنت أعتقد حقا أن "بروك" مطلق منذ سنوات.

- أعرف هذا جيدا.

- أنا واثقة بانه كان سيطلق زوجته دون تردد لو لم يكن قلقا من أجل ابنه. لقد اخطا بإخفاء هذه الحقيقة عنك. لكن امنحيه فرصة. إنه

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

يحب "كريس" كما يحبك، عليه أن... أوه! ثعبان.

قفزت "جاكي" إلى الوراء بحركة شديدة.

- ثعبان! أين هو؟

- لقد هرب. لحسن الحظ أنه غير سام. لكنني ذات يوم رأيت أفعى ذات أجراس في البستان.

- لم تطلعيني قط على هذا البيان يا عزيزتي. أنا أغامر بحياتي في خدمة بقولك!

راحت المحامية تنظف بسخط الغبار عن بنطلونها:

- لا تبالغي! لم أرها إلا مرة واحدة.

علا نداء من صوت حاد رفيع من الجانب الآخر من البستان:

- "ديانا"! "ديانا"!

حاولت "ديانا" معرفة مصدر الصوت بعينيها فرأت "كريس" يجتاز باب البستان بينما راحت شاحنة "بروك" الصغيرة منطلقة بعد أن قامت بنصف دائرة. قفز قلب السيدة في صدرها.

هتف الغلام وهو يقفز إلى ذراعي صديقته:

- جئت ألعب مع "جيف". طلبت من أبي أن يبقى معي لكنه رفض ذلك لأنه يعتقد أنك مشغولة.

- أعتقد أن الأولاد في مستودع الحصيد يعاينون القطط الصغيرة وهي تُولد. هيا بنا إلى هناك؟

- نعم لو تفضلت!

كان المستودع ندياً ومعتماً يعطي اختلافاً لطيفاً بعد وميض أشعة الشمس. في إحدى الزوايا كان يرتفع مواء نائح.

لاحظت "ديانا":

- غريب! الأولاد ليسوا هنا. تعال، سنلقي نظرة رغم ذلك.

تلاصق الصديقان جنباً إلى جنب أمام قطة متهدلة البطن محاطة بخمسة مواليد. تأمل الصغير هذا المشهد فترة ثم رفع رأسه محدقاً في السيدة الشابة بعينيه الرماديتين الكبيرتين.

- يقول أبي إنك سترحلين قريباً. هل هذا صحيح؟

- عليّ أن أعود إلى "رود أيسلند" حيث أقيم.

- أهو بعيد من هنا؟

- بعيد جداً، وقريب من المحيط.

- أعتقد أن أمي تقيم كذلك بجوار شاطئ البحر. لقد ذهبت كما تعلمين ولا أعتقد أنها ستعود.

- هل.. هل تتذكر ماما؟

فكر الطفل بضع ثوان وقال:

- ليس بالحقيقة. لكنني أعرف أنها جميلة جداً ولكن ليس على مستوى جمالك. سألت أبي فقال إنك أجمل منها.

- وهل لديك صور لأمك؟

- لا مطلقاً.. أبي يقول إنه ليس لديه هو الآخر أي صورة.

وبعد أن صمت فترة استعاد "كريس" القول بصوته الهادئ اللطيف:

- لا أريدك أن تعودي إلى "رود أيسلند" يا "ديانا". أريد أن تبقي هنا.

أثارها الحنان فغطت "ديانا" بذراعيها الجسم الصغير الدافئ:

- أوه يا "كريس"! هذه ألطف كلمة سمعت أحداً يقولها لي منذ زمن بعيد.

غرس الصغير قبلة رنانة على وجه صديقته:

- إذا بقيت فإنني سأجد لك عدداً كبيراً من الضفادع و(العلاجيم) لتبني لها بيوتاً.

- أنت نفسك ضفدع صغير جميل. لا شك أنني أفضل ألا أفارقك لكنني مضطرة لذلك. هيا، تعال الآن، سنعود للقاء الآخرين.

حولت السيدتان الشابتان الغداء إلى حفلة حقيقية على شرف "كريس" وتبعه مشهد من التنكرات عم السرور خلاله المجموعة الصغيرة. وبعد ذلك حلت ساعة الصيد والفريسة هي أكبر الضفادع في البستان.

كان "كريس" أول من اكتشف حيواناً. تقدم خطوة ليضع يده على

www.liilas.com

الضفدع الكامن تحت أوراق الدالية الرائعة اعترضت "جاكي":

- كلا يا "كريس"، سوف تتلف الزهور.

- لكن يجب أن أطبق عليه؛ إنه ضخم حقا! انظري يا "ديانا".

كان الصغير المسكين على حافة القنوط. كيف يمكن مقاومة هاتين العينين المتوسلتين؟ ركعت "ديانا" ومررت يدها بهدوء تحت الأوراق مترقبة القفزة التي سيقوم بها الضفدع. لكن أفعى ذات أجراس كانت تنتظر تحت الأوراق اللحظة المواتية لتنقض على فريستها.. وانقضت.

- أوه! أفعى!

ارتمت السيدة الشابة بقفزة إلى الوراء. على ظهر يدها كانت ندبتان حمراوان تبينان الموضع الذي عضته الأفعى. ودون أن تنتظر دفعت رفيقها الصغير بعيدا عن الأوراق.

صاحت متوجهة نحو مضيفتها:

- لقد عضتني أفعى!

سمعت وعيناها مليئتان بالدموع صيحات "جاكي" وهي تصل راكضة. تمتمت:

- أنا متألمة، ألماً شديدا جدا.

- أين كانت الأفعى؟ هل سمعت صفيرها؟

أشارت الجريحة بيدها السليمة إلى كتلة الداليا وهي مستمرة في الإمساك بـ"كريس":

- هنا، اترينها؟

انحنت "جاكي" بحذر على الأغصان ثم التفتت إلى صديقتها وصاحت:

- هي هنا، إنها أفعى ذات أجراس "جيم". "جيم"!

كان صوتها ينطلق مذعورا وهي تكاد تجن من القلق. تحاملت "ديانا" على نفسها وبلغت على نحو ما مقعد البستان القريب منها فجلست عليه مرتعدة الساقين. سمعت صوت "كريس" إلى جانبها يغمغم بكلمات غير مفهومة وصوت سيارة وأصوات الاستغاثة الحادة. هدئي

نفسك يا بنتي، تنفسي ببطء، لا تفقدي عقلك! عملت جاهدة على فتح عينيها فرات "بروك" يقفز من عربته.

- أبي! لقد عضت الأفعى "ديانا"!

لا تتحركي يا ابنتي، كفي عن البكاء، فكري في شيء آخر.

كانت راكعة على ركبتيها ويدها تحولت إلى ألم. كان الدم يسيل من الجرح نقطة حمراء بعد نقطة ليسقط على بنطلونها وليختفي بعد ذلك في قماش المخدة.

تدخل ظلان تحت الشمس ورفعت يد قوية بلطف الذراع المستقرة على الركبة. همس "بروك":

- كل شيء سيرتب. ساخذك إلى الطبيب.

قالت شاكية وعيناها مفعمتان بالدموع:

- أنا أتألم. ساعدني يا "بروك" من فضلك.

- "جاكي"، جيئي بسطل من الثلج واتصلي بالمستشفى لتعلني قدومنا. واتصلي كذلك بالشرطة لترسل لنا مواكبة. "كريس"، ستبقى هنا مع "جاكي".

بهذا أمر "بروك". انحنى أحد الخيالين عليها، رفعتها ذراعان قويتان من فوق مقعدها وراح "بروك" بحمله اللطيف يجتاز باب البستان. صاح من فوق كتفه موجها الكلام إلى "جاكي":

- أسرعي بسطل الثلج.

مدد الشابة على مقعد الشاحنة الصغيرة وتسلل وراء المقعد حيث استقام على أفضل ما يستطيع ويد المصابة اليمنى الجريحة تتدلى على المقعد.

- لا تتحركي يا "ديانا"، لا ترفعي يدك.

طمأن رفيقته بصوت هادئ ونصحها بالتنفس ببطء وألا تستسلم للذعر. وجاءت "جاكي" بسطل الثلج. وعندما ضغط السائق على دواسة البنزين التوى فخذه تحت رأس "ديانا". ظل يكلمها مطمئنا بانهما سيصلان بعد قليل وأن كل شيء سينظم. سألته الجريحة وهل تحاول

www.liilas.com

أن تثبت صوتها:

- هل سمعت عن أشخاص عضتهم الثعابين؟

- بالتأكيد. صبي صغير، مزارع عجوز، كلب وبقرتان. نجوا جميعهم. كيف تشعرين؟

- ألم، ألم شديد وأنا خائفة.

- وأنا أيضا.

- ماذا لو أحدثت حزة على يدي لتمتص السم؟ ساتمكن كذلك من رواية حكاية جميلة لمدنيي "رود أيسند".

- عزيزتي أنا أسوق السيارة بجنون. لا داعي مطلقا لابتكار حكايات درامية. انظري، ها هي المواكبة.

أشعل "بروك" مصابيحه بإشارة فعلا صوت صافرة مزمجر ووميضت أضواء ثم قامت سيارة الشرطة بنصف دائرة وجاءت تستقر أمام الشاحنة.

- سندخل المستشفى بشكل مجلجل. سيكون لك ما تكتبينه لأصدقائك.

أرخى المربي يده اليمنى عن المقود وراح يلمس جبين صديقته حول الصدغين فأدهشه أن يجدها مبللة بالعرق.

- اعرف أنك تشعرين بألم شديد يا عزيزتي. تحملي بضع دقائق أخرى.

- لا أظن أنني سأستطيع الكتابة بهذه اليد خلال وقت قريب!

- سأقوم بدور أمين السر.

شعرت السيدة الشابة فجأة بأنها فقدت الصلة مع "بروك" ومع المقعد الذي تقيم عليه والطريق والوقت.

- "بروك".. من فضلك، لا تتركني.. أنا شديدة الخوف.

- سأكون معك، لا تخافي.

استند "بروك" إلى الجدار أمام سرير المستشفى النظيف. ترى كم مضى من الوقت وهو يتأمل زجاجة المصل وهذه الأنبوبة التي تصل

الوعاء بالإبرة وهذا الذراع الساكن؟ كم مضى من الوقت وهو يتفحص هذه اليد اليمنى الفظيعة البنفسجية الخضراء التي تساوي ضعف حجم اليد؟

كان هناك من يوصيه بالذهاب دائما فكان يصر على تجاهل توصياتهم. فتحت الجريحة عينيها مرات ولكن لم يبد عليها أنها عرفته. كان مقررا ألا يتحرك من مكانه إلا عندما تعرف محبوبته اللطيفة أنه إلى جانبها وعندما تضيء ابتسامة عينيه المعتمتين.

ماذا تعني هذه الصورة الظلية البيضاء؟ وهذا السوار الذي يعلو على طول ذراعها وكان شخصا ما يريد فحص ضغطها؟ لماذا تشكو من ألم شديد في يدها؟.. آه، نعم.. عضة أفعى وسباق مجنون في شاحنة صغيرة ثم أحلام مزعجة وبعدها أحلام مزعجة.

- آه يدي.. أنا متألمة.

- هيا، لا تبتئسي.. إنك أفضل حالا الآن.

- لن أموت، أليس كذلك؟

- لا اليوم ولا خلال الأيام التالية أيضا. لقد ارتكست قليلا بسبب مضاد السم الذي حُقنت به. لكن كل شيء على ما يرام الآن.

أنزلت ممرضة نظارتها إلى حافة أنفها وهي تبتسم بوجهها المكتنز وقالت:

- لقد تصرف صديقك "بروك" بشكل شنيع. أصر على أن يكون أول شخص تعرفينه.

- أوه! لا تدعيه يراني في هذه الحالة من فضلك.

- لم لا؟ لقد استعدت وعيك وهذا هو المهم. ما عرفتني خلال.. كم من الوقت مضى حتى الآن؟... يومان. كان حديثنا محدودا جدا منذ وصولك.

لمست المستلقية على السرير شعرها الأشقر المعقوص بيدها وهي تلقي على الممرضة نظرة عجز. لم يجمعني قبل في أي شريط سينمائي أن أظهرت المريضات مشهدا على هذه الدرجة من الرثاء! لم تكد "ديانا"

www.liilas.com

تتم حركتها حتى ارتفع وقع أقدام على الأرضية. أدارت رأسها فرات "بروك" وبين يديه إناء رائع من الزهور وعيناه تشعان بالبهجة لأنه رآها واعية. غمغمت الممرضة:

- إنه يربكنا منذ وجودك هنا. لا يأكل ولا ينام أكثر من نصف ساعة. والآن! هذا شأنك الآن.

هزت كتفيها وتسللت عبر الباب المفتوح بعد أن وجهت للزائر رفة جفن متعب. قال "بروك" مفسرا وهو يضع إناء زهور اللؤلؤ والورد على الطاولة:

- هذه من أمي، وهذه...

ولوّح بعلبة سمراء:

- وهذه من "كريس".

رفعت الورقة فظهرت علبة. علبة فيها ضفدع.

- لقد وعدته بأن آتي بها إليك. هو يؤكد أن هذا ماكنت تريدين إمساكه.

غاب الوعاء عن عيني "ديانا". سألته باسمة رغم ألمها:

- قل له أن يحتفظ به لي.

- كيف تشعرين؟

- بين بين. أشكرك على نقلك لي إلى المستشفى في الوقت المناسب.

جلس "بروك" على حافة الفراش ووضع أصابعه على اليد السليمة ليقول بصوت رزين:

- لم أشعر بمثل هذا الخوف طيلة حياتي. لا أريد أن أفقدك يا "ديانا".

تلاقت نظراتهما مؤكدة بعمق مدلول الكلمات بوعي كامل.

- أنت تعرف كم أحبك يا عزيزي. ولكن إذا تابعنا رؤية بعضنا بعضا فإن ذلك سيزيد الأمور صعوبة. من الأفضل أن نتوقف هنا.

- هل حقا لا تريدين رؤيتي بعد اليوم؟

كانت السماء تعرف أن "ديانا" تشعر بالم في النطق بالكلمات الباتة

لكنها كانت مرغمة على قولها. نعم يجب قولها بالنسبة له كما بالنسبة لها.

- أشكرك لمجيئك. والآن، افكر أن من الافضل ألا..

لم يسمح لها "بروك" بإتمام جملتها. أطبق بشفتيه على شفتيها وقبلها قبلة مفعمة بالرقة المتناهية. تنهد قائلا قبل أن يدير كعبيه:

- هذه من جانبي.

انطبق الباب خلف الزائر فراحت الدموع تسيل ببطء من عيني "ديانا".

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

الفصل الحادي عشر

بعد أسبوع في المستشفى سُمح لـ"ديانا" بالعودة إلى آل "رينهارت". وفور وصولها راحت تتحدث عن عودتها إلى "نيوبورت"، لكن "جاكي" رفضت السماح لها بالذهاب قبل أن تستعيد كامل قواها.

وذلك المساء كانت المحامية وحدها على الشرفة عندما هبت سحابة من الغبار على الطريق. اقتربت السحابة وكشفت عن الشاحنة الصغيرة الزرقاء المعهودة. ما العمل؟ أتعود إلى آل "رينهارت" في الداخل؟ كلا، لن تفر. لم يحاول "بروك" منذ اجتماعهما في المستشفى أن يأتي إليها فلماذا يريد الآن محادثتها؟

توقفت الشاحنة ونظرت "ديانا" دون أن تتحرك إلى صديق الأيام الخوالي وهو يقفز على الأرض ليدور حول العربة. لا ريب أنه جاء يحييها ويطرح سؤالا ليبين لها اهتمامه بجرحها أو أن يقول لها عبارة اعتذار على غرار: "كنت مارا من هنا"، ليدخل بعدها إلى البيت لمحادثة أصدقائه.

اجتاز "بروك" الأمتار القليلة التي تفصله عن السلم وصعد الدرجات

دون أن ينطق بأي كلمة ثم وضع يديه القاسيتين على كتفي "ديانا" وعانقها بشوق فتقطعت أنفاس هذه الأخيرة وهي تنتظر. قال المربي:

- هيا بنا نقوم بجولة في شاحنتي الصغيرة.

تبعته "ديانا" بتنهيدة عميقة. فلو لم تشعر من قبل بالحاجة الماسة إلى وجوده لكانت قادرة على المقاومة ورفض الانصياع، لكنها كانت تشعر بتلك الحاجة التي كانت مستولية عليها كلها. فكيف لا تستسلم؟

قالت ملاحظة وهي تتسلق على المقعد:

- كنت أظن أننا، أنت وأنا، قد فهمنا أن من الأفضل ألا يرى بعضنا بعضا من جديد.

- الواقع الظاهر يدل على أننا لسنا قانعين.

قميص جينز رياضي وقميص أصفر باهت وقبعة راعي بقر، هذه كلها تظهره في زي غريب ذلك الرجل الذي فقدت صوابها بسببه. على أي حال لم تكن تلك نوعية الملابس التي جعلها أصدقاؤها في "نيوبورت" تألفها. مع ذلك فإنه وحده كان قادرا على إقناعها بالقيام بالشيء نفسه الذي وعدت نفسها ألا تقوم به. قال السائق مشيرا إلى تل بعيد على الطريق:

- أقترح عليك أن نصعد على هذا المرتفع. من هناك نستطيع أن نتذوق بإعجاب المشهد على مهلنا.

ضغط على دواسة السرعة فعصف الهواء بشعر "ديانا" من خلال النوافذ المفتوحة. قال:

- سنرى إذا كنا سنستطيع سباق الشمس بالسرعة قبل أن تغيب.

ألقى "بروك" قبعته إلى الوراء ومرر رأسه من أعلى الباب ليزمجر مخاطبا كوكب السماء.

- أوه! ساتغلب عليك أيتها الشمس!

كان يشبه يافعا يصرخ على هذا الشكل، يافعا خلي البال جاء بصديقته في جولة في عربة أبيه.

هدأته "ديانا" قائلة بصوت تخطى زمجرة الريح والمحرك:

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

- سوف توقفك الشرطة إذا لم تخفف السرعة.

- لا تقلقي يا فتاتي. الطريق طريقي والهضبة هضبتي وهذه شمسي. وسوف أقتسم معك كل هذه الكنوز ولن يمنعني أحد عن فعل ذلك.

كانت الشمس تلامس الأفق تماما عندما بلغا قمة التل فهتف المربي:

- لقد فزنا! نحن سادة الكون! انظري هذه هي المزرعة التي امتلكها وإلى هناك مزرعة آل "رينهارت".

كانت يده اليسرى على عنق السيدة الشابة فراح يشير بالتسلسل إلى المباني فالحقول التي باتت تحت شعاع الشمس ملونة بكل ألوان المغيب بدءا من الرمادي وحتى الذهبي الأشقر. تابع يقول:

- أترين الأفق؟ يقال إن أحدا قد أخذ قلم ألوان ورسم هذا الخط الرائع.

- وشخصا آخر أخذ بعد ذلك أقلاما، أخرى ليرسم خطوطا وردية وبرتقالية فوق الخط الأول. اتدري يا "بروك" فتنتك ليست هي التي احتلتني بل سماؤك الهائلة.

حمحم "بروك" كتلميذ. كان شعره متشابكاً بفعل الريح. ثم ضحك بانفة وقال:

- هنا شبان يطلقون عبارات جميلة وآخرون يغرون بأموالهم، أما أنا فلا أملك سوى الشمس أقدمها لك.. الشمس والقمر.

ما استطاعت الشابة مقاومة الرغبة التي تملكتها فامسكت بخصلة الشعر الرمادية التي انسدلت على جبين صديقها لتعيدها إلى مكانها.

- أنت تعجبني على هذا الشكل. هيئة الطفل هذه التي تبدو عليها هذا المساء لا يمكن أن انفر منها.

- ومن جانبك لا تبدين لي كمحامية وأنت في بنطلونك واحذية كرة المضرب.

- لنكن غلمانا مراهقين هذا المساء دون مشاكل ودون ماض. عاشقان يافعان تدبرا الأمر بحيث توصلا إلى الاختلاء ببعضهما البعض.

راحا ينظران إلى الشمس صامتين وهي تغيب مكللة بالألوان. راح النسيم يداعب وجهيهما في ذلك المساء الصيفي الجميل. اختفت كتلة النار وعندئذ التفت العاشق نحو صديقته الناعمة وأصابعه تلعب بالذهب الأشقر الذي يحلي شعرها. قال معلنا:

- ما أردت أن أزعجك وأنت تعرفين. لكنني ما استطعت منع نفسي من محبتك. إذا كنت لا تصدقين أي شيء آخر، فصدقي على الأقل أنني ما اردت أن أجرحك. قد نستطيع ذات يوم.

وضعت "ديانا" يدها المضمدة على شفتي صديقها تدعوه للسكوت:

- ليس اليوم يا "بروك". دعنا لا نفكر في شيء هذا المساء.

- يا مسكينتي. اسمحي لي أن أعوضك عن جرحك.

أحنت السيدة الشابة رأسها بانتظار أن تنطبق شفتا رفيقها على شفتيها. وبينما كانا يتبادلان القبل مغمضي العيون راحت تتشبع من رائحته، رائحة ذلك الوجود البالغ الذكورة وتلك الرجولة الشديدة الجبروت. سحب "بروك" شفتيه ليبتسم للوجه المحبوب المنصوب نحوه:

- وماذا لو استلقينا على العشب؟

- الضفادع وحدها تمدد على الأرض سيدة أفكارها.

ركن المربي ركبته على الأرض ونزع قميص الرياضة ليمده على العشب.

- أنا ضفدع مثالي. انا أحاكي الفارس الباسل الذي يضع معطفه لكي تتمكن السيدة الرفيعة التي ترافقه من الاستراحة على القماش الرفيع.

جلس إلى جانب القميص ومد يده قائلا:

- تعالي. دعيني لأحتويك بين ذراعي.

استلقت "ديانا" على الفراش المرتجل بمساعدة صديقها. ماكان

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

"بروك" يريد أكثر من إعطائها قبلة، قبلة بمنتهى الرقة ليجعلها تدرك أعماق غرام صديقها. لكنه أحس بصدرها على جذعه واللهثة القصيرة التي تمس عنقه. عندئذ تصلب جسمه فأطبق بفمه على فمها. كانت المرأة الشابة تلهث فأدرك أنها تريده بقدر ما يريدها.

- أريدك أن تحصلي على طفل آخر يا "ديانا"، أريد أن أصبح الأب.

- "بروك"..

- لو كنا متزوجين لسمحت لنفسي أن أودع طفلا فيك، أليس كذلك؟

- كم كنت سأتوق لذلك!

- ما كنت لأرغمك، أتعلمين؟ كنت سأشعر بالسعادة كذلك وأنا وحيد معك.

- أرجوك لنكف عن الكلام في أمور لا يمكن حصولها.

- ستحصلين على ولدي ذات يوم يا عزيزتي. هنا في بطنك. في هذه الشرنقة الممتازة.

- اسمحي لي أن أحبك يا "ديانا".

- لا أستطيع. ليس الآن.

- لم يتغير شيء يا عزيزتي.

فاعترضت رغم تحببها الذي كان يتصاعد إلى حلقها:

- لا شيء تغير بالنسبة لك، أما بالنسبة لي فقد تغير.

- هل تحبينني يا "ديانا"؟

ردت بهزة رأس خفيفة فعاد يسألها بإلحاح:

- قولي. أريد أن أسمع.

- أحبك يا "بروك". أحبك تماما كما كنت أحبك من قبل.

أغمض عينيه وملأ صدره بالهواء بنفس طويل بينما راحت السيدة الشابة تسترسل وهي تبحث عن الكلمات:

- لكنني أعرف الآن أنك لست حرا.. وأنا أومن بالزواج وسيكون ذلك

سيئا... سيئا لي..

منعها النحيب من الاسترسال في الكلام. ضمها "بروك" بكل قواه بين ذراعيه وهو مبلبل مهتاج وغمغم نيابة عنه وعنها:

- مع ذلك، لست شخصا رديئا. أخطأت في إخفاء الحقيقة عنك وهذا صحيح لكنني كنت محقا بحبك.

شهقت "ديانا" محاولة ابتلاع دموعها:

- الفتاة التي كانت مناسبة والأونة التي لم تكن مناسبة..

- هل لديك منديل؟

- معي كل ما يلزمك. خذي، يمكنك استعمال قميصي. سامنحك كل ما تشتهين لاسرك.

مسحت خديها بظاهر يدها وهي تضحك ضحكة بائسة. تابع "بروك" قائلا:

- أنا بحاجة للوقت. في يوم أو آخر.

سره أن يراها قد هدأت. وضعت المحامية أصبعها على شفتيه لترغمه على السكوت.

- لو سمحت يا "بروك" لنكف عن التحدث بالأمر. لنتكلم عن النجوم، الرياضة، قصص الجان، كل ما تريد باستثناء الغرام.

- عن الأفاعي إذن؟

قالت وهي تتعلق بكتف صديقها:

- عن أي شيء عدا الغرام والأفاعي.

- حسنا. هل يسمح لي أن أعلن لك بأنني أحب إبقاءك بين ذراعي؟

- كلا. كما لا أريد أن أبوح لك بأن دقات قلبك قرب أذني تفقدني الوعي.

تمتم قائلا:

- وأنا كذلك، لكنك لا تريدين الاستمرار في الحديث عن هذه الأمور.

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

وبعد هنيهة عاد "بروك" يتكلم بصوت مختلف:

- لعلك تريدين أن أروي لك قصة الجنيات؟

- تعلم أنني عشت إحدى هذه القصص مؤخرا. لقد اعتبرني فلاح جسور أميرة.

وخز ذراع جارته وهو يضحك ضحكة قصيرة.

- صاحب مزرعة يا عزيزتي، صاحب مزرعة وليس فلاحا.

* * *

وما إن حل الغد حتى أعلنت "ديانا" أن ساعة الرحيل قد أزفت وأصرت رغم اعتراضات "جاكي". وأثناء قيام الصديقتين بإعداد الامتعة غامرت ربة المكان بمحاولة أخيرة. قالت:

- ألا تحملين أحاسيس ندم برحيلك على هذا الشكل.

- بلى. ندم واحد. لم يكن الوقت مواتيا. كان الأمثل لو تقابلنا قبل ذلك.. أو بعد ذلك.

- "ديانا" ما عدت أعرفك. ماذا جرى لـ"ديانا" التي كنت أعرفها، تلك التي كانت تتحكم في كل شيء وتنسق - دون مشاكل- المواقف البالغة الصعوبة وتعرف كيف تجابهها؟

جلست السيدة الشابة على حافة السرير وهي تتنهد وقالت:

- هذا صحيح. كنت أحصل دائما على ما أريد. لكنني ما كنت قانعة ابدا. والآن أحب رجلا لا أستطيع الزواج منه. مع ذلك لست ناقمة عليه. وأنت تعرفين. لقد تصرفت كما تقضي حالة الدفاع المشروع عن النفس.

- ألا تظنين حقا أنك قادرة على إيجاد حل؟

- لا وجود لحل. "بروك" يخشى ما هو مبهم ومن يدري؟ قد تكون "لوري" مترقبة جاهزة للقتال عندما يحين الوقت.

وفجأة انصفق باب في آخر البيت وعلا صوت قوي ينادي:

- "ديانا"!

سالت المحامية صديقتها بعينيها. اعترفت هذه ويدها على فمها كالطفل:

- اعذريني. اظن أنني قلت له: إنك ستغادرين.

- ومتى اتصل بك هاتفيا؟

صاح "بروك" من جديد وقد أصبح صوته أكثر قربا:

- "ديانا"!

- الحقيقة أنني أنا التي استدعيته.

- "جاكي"! كنت تعرفين أنني ما كنت اريدك أن تُعلميه بالأمر.

وقبل أن تستطيع المتهمة الرد، فتح باب الغرفة بدفعة شديدة.

تمتمت "جاكي" وهي تتسلل إلى الممشى:

- أترككما وحدكما.

تقدم المربي وعيناه تلمعان بالغضب وعمل جاهدا للنطق بصوت هادئ قال:

- هكذا كنت ستذهبين دون أي كلمة!

- كنت أرى أن هذا هو أفضل الحلول. ثم إنها لم تكن أميرة حقيقية فاختفت إلى الابد. وحاولت إتمام جملتها بضحكة خفيفة لكنها أخفقت. وبحركة سريعة اطبق المحدث على كتفيها ليهزهما بلطف.

- انظري إليّ. هل أبدو كبطل قصة أسطورية؟ أنا رجل من لحم وعظم، مربي بسيط وأحب امرأة من لحم وعظم. لن تستطيعي التملص بطرفة.

- ماذا تريد يا عزيزي؟ الدموع؟ يمكنني إعطاؤك فيضا منها، لكنها لن تغير شيئا. سألتك أن تتحرر فرفضت. وكنت أمل أن اتجنب مشهدا عاصفا، ثم إن لديّ أسبابا تجعلني أحقد عليك وكنت محقة في أن أغضب على ما أعتقد.

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

- اعرف انني لم احسن التصرف لكنني ارجوك الا نعود إلى إثارة ذلك!

بات "بروك" شديد القرب منها برائحته التي تفوح من عطر الكولونيا الممتزجة برائحة جسده. أطبقت "ديانا" على الرسغين وأنزلتهما بالقوة على طول الردفين المربعين.

- لقاؤنا الليلة السابقة كان وداعا كاملا، لحظة لا تدخل في عداد الزمن، هادئة وكئيبة.

صمتت بضع ثوان بما يكفيها لابتلاع الآهات التي كانت تشعر بأنها تتصاعد إلى حلقها، ثم استانفت قائلة:

- من الافضل ان نفترق الآن لنبقى على هذه الذكرى الاخيرة. ليس لدينا ما نقوله بعد ذلك.

- لا يمكنك الخروج من حياتي بهذه الطريقة! إذا كنت تحبينني فلن تهربي هكذا! هذا مستحيل!

تاملت "ديانا" مطبقة القبضتين العينين المعكرتين بالامل وقالت بصوت رزين:

- انا لا اهرب. أنت تعرف إلى اين اذهب. لا مكان لي في وجودك. انت تقول إنك تحبني ولكن ما الفائدة إذا كنت لا أستطيع الحياة معك؟!

- ولكن لماذا تذهبين بهذه السرعة؟ لماذا لا تنتظرين بعض الوقت.

أطلقت المحامية زفرة عجز وقالت:

- عليك أن تدرك أن بيننا كثيرا من المشاكل. والصعوبة الأولى هي انك متزوج. صدقني، لقد اخترت افضل الحلول. لا انت ولا انا نستطيع الاكتفاء بقبلة وداع صغيرة أو بوداع إلى لقاء.

- ولكن.. اتتركيني على هذا النحو، دون كلمة، دون أن تقولي لي شيئا؟! كيف تستطيعين فعل ذلك؟

لاريب أن هذا الشخص العنيد لا يريد أن يسمع شيئا! استجمعت المحامية كل قواها لكيلا ترفع طبقة صوتها وقالت:

- لابد من وجود مائة طريقة على الاقل لهجر الرجل المحبوب. وهذه هي طريقتي: ساحرك سيارتي وساتوجه مباشرة نحو الشرق باتجاه محيط "رود أيسلند".

تفحص كل منهما وجه الآخر برهة صامتين وبعدها استرخى "بروك" ليعلن بصوت مختلف تماما:

- "كريس" يود أن يراك قبل رحيلك. هو ينتظر في الخارج. سارسله إليك. أود أن تتذكري أنه متعلق بك بشدة.

أدار عقبيه وتوجه إلى الباب. انطلقت "ديانا" قائلة:

- "بروك"، إذا كنت عادلا فستعرف انني أحبه أنا الأخرى. أحبه كما لو كان ابني.

توقف محدثها على العتبة وقال دون أن يلتفت:

- أعرف ذلك.. أتمنى لك سفرا سعيدا.

من جديد عادت "ديانا" تقاوم زفراتها عندما رأت الصغير أمامها. ارتمى بين ذراعي صديقته الكبيرة وضمها بكل قواه. قال:

- أبي يقول إنك ستذهبين، أصحيح هذا؟

- عليّ العودة إلى عملي، إنه ينتظرني.

اعترض "كريس" ببرطمة خيبة أمل:

- كنت اظن أنك ستبقين هنا مع أبي ومعي. لماذا لا تاتين للسكنى لدينا؟ لدينا سريران لا ينام عليهما أحد. يمكنك الحصول على غرفة خاصة لك.

- يا عزيزي لا أستطيع، أؤكد لك.

- انا متاكد من أن ابي سيكون مسرورا جدا لو جئت. هو يحبك كثيرا، قال لي ذلك. ساكون شديد التعقل. سابقى طوال الوقت في

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

الحديقة. وإذا كان الطعام من الجزر أو الفاصوليا فإنني سأتناوله دون تذمر.

أغمضت "ديانا" عينيها على أمل أن تطرد الدموع التي بدأت بالظهور على طرفي جفنيها.

- أوه يا "كريس"! أنت شديد اللطف يا طفلي الصغير! أنا أحبك حبا جما، هل تعرف؟

راحت تداعب شعر الطفل بيد مرنة وقالت:

- أكنت تعلم أنه كان لي ولد صغير؟

أدار "كريس" رأسه يمينا ويسارا.

- كان لايزال طفلا عندما فقدته.

- هل ضاع منك في سوق كبير؟

- كلا بل مات ولقد لبثت حزينة مدة طويلة جدا. ومعك كان كانني وجدته.

- ماذا كان اسم طفلك؟

- "روبي".

- يمكنني أن أكون طفلك كما أكون ابن أبي أيضا. لن تعود أمي ستحلين محلها. سيظل اسمي "كريس" بالنسبة لأبي. أما أنت فستناديننني باسم "روبي".

شدت السيدة الشابة الطفل ذا الجسد الدافئ وهي في دوامة من التفكير. وقالت:

- أريدك أن تكون "كريس" ولا آخر. ستبقى دائما "كريس" الصغير. وسأجعلك ترى البحر ذات يوم، أعدك بذلك.

الفصل الثاني عشر

- "ديانا"، هذه "جاكي" على الهاتف، كيف حالك؟

- جيدة. وأنت؟ كيف حال الطقس عندكم في بداية تشرين الثاني (نوفمبر)؟

- ستون سنتيمترا من الثلوج. اسمعي، أنا قلقة على "بروك". ماعدنا نراه أبدا تقريبا. ماعاد يتحرك في أي مكان.

- ليس مريضا على الأقل؟

- لا يبدو كذلك. جاء إلينا بـ"كريس" ولم يتكلم بشيء كعادته. هل تبادلتما الحديث في هذه الأيام الأخيرة؟

- لم نتكلم منذ أن غادرتكم. مادام "كريس" عندكم أود أن أقول له كلمة.

انتظرت "ديانا" أن تنتقل السماعة إلي يد أخرى في الجانب الآخر:

- مرحبا يا "كريس". كيف حالك يا عزيزي؟

منتدى ليلاس الثقافي www.liilas.com

- "ديانا"، احذري: أنا أذهب إلى المدرسة الآن. "مدرستي اسمها الآنسة "بيكر". إنها لطيفة جدا ولكن أقل منك. متى تأتين؟

تعقد حلقها فتمكنت من إطلاق ما يشبه الضحكة. قالت:

- لا أدري يا عزيزي.

- سيحل عيد الميلاد قريبا. أتمنى كثيرا أن تكوني هنا.

- قل لي، كيف حال "جاك"؟

- جيد جدا.

- وأبوك؟

- جيد جدا كذلك. أتعرفين أنا أستقل حافلة كبيرة صفراء للذهاب إلى المدرسة لأن أبي لديه في غالب الأحيان أعمال في المدينة، لذلك فإنه يأتي ليأخذني عند الانصراف. متى أستطيع المجيء عندك ورؤية البحر؟

- الماء بارد في الشتاء ومن الأفضل الانتظار. أنا مشتاقة إليك يا عزيزي. أتوق إلى رؤية رسوم ترسلها إلي.

- هل لديك صور لي؟ لقد صوروني في المدرسة ولو شئت أرسلت لك واحدة.

- فكرة رائعة جدا! وأنا سأرسل لك شيئا ما، هدية خاصة لك.

وبعد أيام قليلة وجدت "ديانا" هدية عيد الميلاد لـ"كريس": بيت لإيواء الحيوانات الصغيرة، بيت حقيقي منمنم بممرات وغرف تفصلها جدران من اللدائن الشفافة. لا ريب أن "بروك" لن يغفل عن شراء حيوان يقيم فيه. ولكن يجب أن يتلقى الطفل هدية تصنعها بيدها. نعم ولكن ما هي هذه الهدية؟ ماذا لو قدمت له غطاء تطرز عليه مشاهد مختلفة تمثل الضفادع؟ فكرة حسنة. وهكذا انقضت أمسيات تشرين الثاني يوماً بعد يوم كانت السيدة الشابة ترسم مربعات أمام جهازها المرئي

على القماش وهي تصغي إلى الموسيقى.

في تلك الليلة كانت "ديانا" غارقة في مهمتها. ضفدع وفارة في ثياب الزفاف، عندما قرع جرس الهاتف يقطع عملها

- ألو؟

- كنت في شوق عارم لرؤيتك صباح اليوم عندما نهضت من النوم لدرجة أنني كنت أرتعد متأثرا.

خفق قلبها بعنف فلم تستطع المحامية فتح فمها إلا بصعوبة:

- "بروك"؟

- هل تعرفين - عرضا - رجلا آخر يسمح لنفسه بمكالمتك على هذا الشكل؟

عاد ذلك الصوت العميق الدافئ يعيدها إلى الذكريات!

- أنت الوحيد يا "بروك".

- أحبك يا "ديانا". أكان هناك آخر يسمح لنفسه بالاعتراف بهذا النوع من الأمور في هذه الفترة الأخيرة؟

- كلا. لا أحد.

- أهذا كل شيء؟ أنت لست شديدة الثرثرة!

- فاجأني اتصالك وأنت تدرك. كيف حالك؟

- لست على خير حال لأنك تثيرين نار شوقي

كم كان لذيذا سماعه يتلفظ بهذه الكلمات! كما سمعتها من قبل يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة! قالت معلنة:

- لقد تحادثت مع "كريس" ذلك اليوم.. كان يبدو في أفضل حال.

- نحن على خير حال، كلانا بخير. لكننا نود أن تكوني معنا. بعد محادثتك الهاتفية لم يعد "كريس" يتكلم عن أحد غيرك.

- أوه يا "بروك"..

www.liilas.com

- ما بك يا عزيزتي"

كان عليها أن تهدأ. كان ذلك ضروريا جدا. تنفست "ديانا" بعمق جرعة كبيرة من الهواء قبل أن تعود إلى الكلام.

- أنا شديدة السرور بسماعك؛ هذا كل شيء. قل لي ماذا فعلت اليوم؟ وكذلك بالأمس وأمس الأول. تكلم. أنا شديدة السعادة لأنك كلمتني.

- كان عليّ أن أتصل بك قبل اليوم لتعرفي أخباري، لكنني ما أردت مضايقتك كثيرا.. هل تقبلين لقائي؟ وإذا وجدتني أمام الباب فهل تسمحين لي بالدخول؟

- بالتأكيد ما كنت لأجد ما يدفعني إلى طردك.

- هذا كل ما أردت معرفته. سأحضر إذن.

فرقعة جافة ثم سكوت: لقد أعاد "بروك" السماعة إلى مكانها.

بدت الغرفة متجمدة على الفور. كان من الصعب تدفئتها بسقفها المرتفع جدا. ولحسن الحظ كانت "ديانا" قد أوقدت النار في المدفأة فكان بإمكانها إضافة قطعة من الخشب او قطعتين. وماذا بعد؟ بعد ذلك ستصغي إلى الموسيقى وهي تنهي ثوب زفاف الفارة.

تصاعد اللهب في المدفأة بتأثير المنفاخ. اختارت السيدة الشابة أسطوانة وضعتها على الجهاز. كانت على وشك الضغط على زر التشغيل عندما قرع جرس الباب. وبنظرة إلى شكلها تأكدت من أن بإمكانها استقبال الزائر المتطفل.. لن يفته الإعجاب بالكيمون الأخضر المذهب الذي ارتدته لقضاء الأمسية. سالت ويدها على المزلاج:

- من الطارق؟

- مربي من شمال "داكوتا".

هو؟ هنا؟ بهذه السرعة بعد اتصاله الهاتفي!

- "بروك"؟

- كان عليّ أن اقضي الشتاء في السبات كالمرموط. الجو شديد البرودة في الخارج!

لماذا لا تستطيع سحب الرتاج؟ إنه الانفعال ولا ريب. أخيرا تمكنت المحامية من فتح الباب.

كان الزائر بمعطفه المصنوع من جلد الايل مع الفراء وقبعته اللبدية العريضة يشبه رجل غابات تائه في المدينة الكبرى. تقدم خطوة وعلى وجهه ابتسامة قلق دون أن يتفوه بكلمة.

- "بروك"!

بقفزة واحدة باتت "ديانا" بين ذراعي صديقها. حملها عن الأرض ودخل بها إلى البيت.

- "بروك"، ماذا تفعل هنا؟ لقد كلمتني هاتفيا منذ قليل. كنت أظن أنك..

- في غرفة هاتف على زاوية الشارع.

عاد يضم صديقة الصيف بين ذراعيه بشدة وانحنى ليقبلها. كان ينوي أن يقدم لها مجرد قبلة لطيفة تحية للقاءاتهما. لكن رجلا متعطشا مثله هل كان يستطيع الاكتفاء بنقطة ماء؟ يلزمه الكثير الكثير. عندما افترقت شفاههما راح "بروك" يتأمل بتعجب تلك التي تسلطت عليه طيلة اشهر.

- أنت رائعة يا "ديانا"!

- ظننت أنك نسيتني.

- نسيتك؟ كيف يمكنني نسيانك؟ أنا أتذكر كل شيء: رائحة شعرك الليمونية، وهذه الخصلة الصغيرة التي تنسدل دائما على حاجبك الأيمن، وهذا البريق الذهبي الذي يلمع في عينيك عندما تنظرين إليّ

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

بعد عناقي لك، وهذا الخط في تجويف ظهرك.

وبعد أن لامس شعرها راحت يد "بروك" اليمني تتبع خط الحاجب ثم تهبط حول العين لتقف أخيرا على طول صديقته. أكد لها بانفعال واضح:

- مانسيت شيئا.

- ما الذي جعلك تنتقل على هذا الشكل؟

- أنت التي استوليت عليّ. لقد سلبتني عقلي منذ اليوم الأول، عقلي وأفكاري وقلبي. استوليت عليّ تماما وإلى الأبد.

- متى قررت المجيء؟

- قلته لك. هذا الصباح.

- وماذا لو قررت عدم رغبتي في رؤيتك؟

- كنت ساعود إلي بيتي على متن أول طائرة.

- أشك في ذلك.

- وأنا أيضا لأنني كنت مقررا أن أراك. أنت أجمل مما كنت يا عزيزتي.

- هل معك أمتعة؟

رغم البرد الذي كان يخيم على الخارج لم يفكر أي منهما في إقفال الباب. انحنى المسافر والتقط حقيبة كستنائية ثم أطبق الباب بعد أن دخل إلى الشقة. قال ملاحظا وهو يتفحص مرة بعد مرة السقف العالي والأثاث القديم والأرضية المغطاة بالخشب الملمع:

- وهكذا، أنت تقيمين هنا.

- أنا أعشق البيوت القديمة. هذا البيت قُسم إلى شقق كما ترى. أتعلم، الجو لديك يشبه الجو هنا. يشعر المرء فيه بالراحة... لكنني أتكلم دون أن أقدم لك ما تشرب... انتظر قليلا.

كان المطبخ الطويل الضيق مزودا بأجهزة رفيعة التطور. وعندما انحنت "ديانا" لتأخذ الأقداح من خزانة جدار انفتح كيمونها كاشفا عن ساقين عاريتين. ابتسم "بروك" من اللذة بذكرى الأيام الخوالي. سألها:

- ماذا تفكرين في عمله لعيد الميلاد؟

- لا أعرف تماما. سأذهب بلا ريب إلى بعض أصدقائي الذين يقيمون في الريف غير بعيد عن هنا.

- وأين شجرة العيد؟

- لم أشترها بعد. لن يحل العيد قبل أسبوعين.

- ونحن لم نهيئ الشجرة بعد.. يود "كريس" الانتظار حتى...

لم يتم عبارته بل راح ينظر إلى السيدة الشابة بتردد.

- لماذا يريد الانتظار؟

- أوه! يظن أنه سيتلقى هدية خاصة تماما ليضعها أمام الشجرة. هدية نحتاج إليها كلانا.

وما إن استقرا في غرفة الجلوس حتى فتح "بروك" الزجاجة وصب الشراب بدقة مدروسة ثم تابع الكلام وعيناه على النار:

- قلت له إنني سأحاول الحصول عليها. أنت تعرفين، عندما يكون المرء أبا أسرة يتوجب عليه أن يبذل كل الجهد ليقدم لولده هدية العيد التي يتمناها.

- وهل يمكنك أن تقول لي ما نوعها؟

قدم "بروك" كأسا لصديقته ثم حدق إلى عينيها وقال:

- أنت.. خذي. لقد وعدته بإعطائك هذه الصورة، إضافة إلى هذه الرزمة من الرسوم التي قام بها لك.

ابتسمت "ديانا" بمحبة للصغير ذي الشعر الرمادي الذي كان ينظر إليها في الصورة. وعلى ظهر الصورة خطت يد غير بارعة اسمه

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

بأحرف كبيرة.

- لديّ كذلك هدية أقدمها لك من أجل "كريس"

جلست في ركن من الأريكة الكبيرة الزرقاء المغطاة بالمخمل المضلع وساقاها منطويتان تحتها. استقر المدعو على الجانب الآخر من الأريكة بعد أن وضع كأسه على الطاولة ليتمكن من تأملها بشكل أفضل. قال:

- أنت تشبهين طائرا بهيا أخضر اللون قابعا في عشه. ترى هل سيطير ذلك الطائر إذا اقتربت منه لأمسك به؟

أطبقت المرأة عينيها وقلبها يعصف بالاستسلام.

- خذني بين ذراعيك يا "بروك" ولا تدعني هذه المرة أفلت منك.

استقرت يدان قويتان فوق كتفيها. ولما فتحت عينيها رأت وجه صديقها المتلهف قرب وجهها.

- ما كنت أستطيع العودة إليك قبل هذا الوقت يا "ديانا".. قبل أن أرتب الأمور في بيتي. والآن يمكنني أن آخذك بين ذراعي دون خجل أو تبكيت ضمير.

استمر شارحا بعد سكوت قصير بينما كانت تتفحص وجهه بنهم دون طرح أي سؤال:

- لقد بحثت عن "لوري" في كل مكان. كنت أود أن أعرف ما إذا كنا قادرين على إيجاد حل بيني وبينها لكنني عدت بخفي حنين كما يقولون.

- ما معنى ذلك؟

- لا يمكن العثور عليها. توفي والداها ولا أحد يدري أين هي الآن. بل إنني استخدمت مخبرا خاصا لم يفلح في العثور على أثر لها. قد تكون ميتة هي الأخرى. بذلك كفاني ملء بعض الأوراق لأحصل على الطلاق. كان علي أن أرتب هذا الأمر منذ أمد بعيد. ولكن كان هناك

"كريس". كنت أخاف دائما من ضياعه. كنت كالأشل.

- أعرف، أعرف هذا النوع من الغم والجزع

- لكنني ما كنت أريد التخلي عنك كذلك. وكان "كريس" هناك يسألني دائما متى تعودين. يا للغلام العنيد الجريء! في رأيه أن الأولاد الذين لا أم لهم من حقهم اختيار واحدة بانفسهم تحل محلها. فهو يبدي ندمه على فقدك كل يوم، أتعلمين؟

تلطف وجه "بروك" فأدركت "ديانا" أنه سينطق أخيرا بالكلمات التي طالما تاقت إلى سماعها.

- عودي معي يا عزيزتي. تزوجيني.

- أتود أن تلعب دور الأب نويل؟

- لا أريد لعب أي دور. "كريس" هو الذي يريد القيام بدور بابا نويل. كان يود الحضور بنفسه ليأخذك. إنه يرى أن شيئا ما ينقص كل واحد منا: هو تنقصه الأم، وأنا الزوجة.

راحت "ديانا" تداعب ذقن صديقها بأصابعها الدقيقة.

- وأنا ينقصني الرجل الذي أحبه ويحبني. وبين كل السبل التي تمكّن من الحصول عليه أرى الزواج أفضل سبيل.

بدا جسم "بروك" وكأنه انطلق من عقله فجأة. حينئذ أدركت السيدة الشابة الضغط الذي كان يسوده حتى تلك اللحظة. أطلق "بروك" ضحكة سرور مجلجلة وقال:

- أتدرين، عندما قلت لي: "ساعود إلى الميناء، انتهى كل شيء بيننا" بدوت بمنتهى التشاؤم.

- لعلني كنت على جانب من الخبث.

- لا مطلقا! تحدثت معي بلطف شديد. لكنني جننت لأنني ماكنت أجد ما أردّبه عليك، ولأنك كنت على حق فيما تقولين. كان من الأفضل

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

أن نكف عن رؤية بعضنا بعضا. مادمت لا أسوي مشكلة الطلاق.

استقرت عيناه على إطار التطريز الذي وضعته "ديانا" على الطاولة أمسك به بيده العريضة الخشنة وقال:

- ما هذا؟ تطريز؟ لا تبدين لي أنك من ذلك النوع الذي يقوم بالتطريز إلى جانب النار.

- أحب أشغال الإبرة. خذ، أقدم لك الأنسة فارة. هي وأنا، يحب كلانا الضفدع حبا جما، أترى؟ إنها ستقترن بضفدع.

قفزت "ديانا" عن الأريكة وركعت لتفرش المربعات التي طرزتها على الأرض. قالت تفسر المشهد بصوت عارم بالحبور:

- هذه لسرير "كريس". أتظن أنه سيحبها؟

- سيحبها. ولكن قولي أيتها السيدة اللطيفة المطرزة، إذا كنت حسن الإدراك أقول إنك كنت تتوقعين مجيئي ذات يوم.

- ولماذا؟ ألأنني هيأت هذه الهدية لابنك؟ نحن نتبادل حبا عميقا.

- لا ريب أن حب الضفادع هو الذي قرّب بينكما! تعالي يا فارتي الخضراء، اجلسي على ركبتي الضفدع العجوز وقصي عليه زواجك المقبل.

مد "بروك" يده للمرأة الشابة الراكعة على الأرضية فاستجابت للدعوة وجاءت تتكبب على الجذع المفتول العضلات. سألها بصوت حالم:

- أتظنين أننا سنستطيع إتمام الزواج قريبا؟

- ولم لا يكون ذلك مع عيد الميلاد؟ هل يوافقك الرابع والعشرون من كانون الأول؟

- تماما.

- ومكتبك كمحامية؟

- سأعود بعد الأعياد لأرتب ملفاتي ونقلها إلى شركائي. يمكننا

الإقرار بانني عملت خلال الأيام الأخيرة مبتعدة فمن يدري؟ كل شيء قابل الحصول.

- كان يستطيع ذلك المربي الأحمق إيجاد بعض الإدراك على سبيل المثال.

أيدت قوله باسمة:

- على سبيل المثال.

- حسنا. والآن هل يمكنني معرفة مكان غرفة نوم سيدة هذا البيت؟

- اتبعني سأريكها.

لم يلق الزائر حتى ولا نظرة واحدة على الغرفة. ما كاد يجتاز العتبة حتى عانق بشوق رفيقته الرقيقة ثم راح يحل حزام كيمونها ببطء وغمغم قائلاً:

- أتذكرين؟ أتذكرين تلك الليالي التي عشناها؟

- نعم أذكرها.

وبعد أن تبادلا الحب وبعد أن تفوها بأعذب ما على الأرض من كلمات ظلا فترة طويلة يضم كل منهما الآخر بذراعيه حتى خرق "بروك" السكون بضحكته الخفيفة التي عمت الغرفة. قالت رفيقته:

- أيمكنك أن تقول لي ما يبدو لك مضحكا؟

- كيف يا للسماء! هل يمكن لفارة وضفدع أن يتزوجا؟ أي نوع من الأولاد سيحظون به؟

- لست أدري ضفادع فارية، طويلة الأرجل الخلفية، خضراء مشعرة صغيرة الآذان ذات أنف دقيق جدا.

- حسنا، سيكون أطفالنا على جمال! كيف ستتصرف؟ أنا أب ضفدع وسابقى الأب الضفدع ولن تغير قبلاتك مني شيئا.

- وماذا لو لم أكن فارة؟ ماذا لو كنت أميرة جميلة من قصص الجان

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com

التي تحبها؟ أتعلم ما فيها؟ لقد "خلفوا كثيرا من الأولاد وكانوا سعداء دائما".

- لقد وجدت الحل! اسمحي لي بعناقك يا أميرتي الجميلة.

لم يتبادل عاشقان في قصص الجان في أي مناسبة قبلة على مثل الروعة واللذة والشوق كالتي تبعت هذه الكلمات.

وعندما أشرقت الشمس كانت جميلة الغابة الوسنة تستريح إلى جانب أميرها ولم تفارقه بعد ذلك أبدا أبدا.

منتديات ليلاس الثقافي
www.liilas.com

تمت

روايات عبير

- على كل حال ،

كان شديد اللطف معي رغم أنني كنت ادهس ابنه بسيارتي .

- شديد اللطف !

لا ريب أنك تقصدين أنه كان فاتناً ،

نعم !

لقد عرض عليّ أن أخرج معه في إحدى الأمسيات

وأظن أنني سأليي دعوته إذا اتصل بي .

ليس في الأمر أن ترفضي وأنا أقول لك ذلك .

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٢٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	[illegible]
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	[illegible]	[illegible]
الإمارات	٨ دراهم	[illegible]	[illegible]
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9789953424750

منتدى ليلاس الثقافي
www.liilas.com